

صورة المرأة في روايات غازي عبد الرحمن القصيبي

A Study of the Images of woman in the novels of
Ghazi Abdur Rahman Al Qusaibi

بحث جامعي لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

طارق عمران

تحت إشراف

البروفيسور فيضان الله الفاروقى



مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية
جامعة جواهرلال نهرو
نيودلهى-110067

(2015)



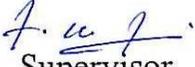
مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Declaration

21st July, 2015

I declare that the material in this dissertation entitled "*A Study of the Images of Woman in the Novels of Ghazi Abdur Rahman Al Qusaibi*" submitted by me is my original work and has not been previously submitted for any degree to this University or elsewhere.


Tarique Imran
(Research Scholar)


Supervisor
Prof. F.U. Farooqi
(CAAS/SLL&CS/JNU)


Chairperson
Prof. Mujeebur Rahman
(CAAS/SLL&CS/JNU)
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 110067.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن النهضة الحديثة التي بدأت فيها حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798م، قد لعبت دورا مهما في تطوير فنون الأدب العربي وإيقاظ أهله من سباتهم الطويل، وإن اتصال العرب بالغرب عن طريق هذه الحملة كان سببا مهما لتوسيع نطاق أفكار أدبائنا، وأخذ الثقافات المختلفة والمعارف الكثيرة. فأصبحت هذه النهضة الحديثة وسيلة في ظهور فنون أدبية جديدة، ودخل أدبائنا العرب هذه الساحة، وبدأت يتطور الأدب العربي الحديث، وظهرت القصص القصيرة والرواية والمسرحيات في الأدب الحديث.

ومن هذه الفنون الأدبية الحديثة الرواية التي اكتسبت سمعة واسعة على المستوى العالمي والعربي، ونالت في الآونة الأخيرة اهتماما كبيرا من النقاد والدارسين والباحثين، وهذه الرواية التي هي فن نثري سردي، تتناول موضوعات عديدة منها: الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والقومية، والوطنية، وما عدا ذلك توجد فيها الموضوعات الأخرى كالفقر، والتعليم، والزواج، والعادات، والتقاليد وغيرها.

أما الرواية السعودية، فقد مرت بمراحل ثلاث: مرحلة البداية والتأسيس، ومرحلة النضج الفني، ومرحلة التجديد والتحديث، وشهدت تطورا ملحوظا وازدهارا ملموسا في المملكة العربية السعودية وخاصة بعد أن استقرت بها الأوضاع السياسية وتغير الوضع المعيشي للمجتمع والفرد

وتحسن عن ذي قبل في كافة أرجاء البلاد في أواخر السبعينات، وظهر في هذه المراحل الثلاث التي تبدأ من عام 1930م إلى نهاية القرن العشرين وبعده، كثير من الأدباء والروائيين والقصاصين الذين قاموا بإثراء الأدب العربي السعودي بإنتاجاتهم الأدبية ومساهماتهم الفنية. فقد وصلت الرواية السعودية إلى أعلى المستويات المطلوبة مع أساليبها المتنوعة واتجاهاتها وقضاياها. ونالت شهرة واسعة في المملكة العربية السعودية وخارجها.

ومن هؤلاء الروائيين السعوديين الذين لهم إسهامات كثيرة في إثراء الأدب السعودي بأعمالهم الروائية الجليلة الغزيرة، والذين أضافوا الشيء الكثير إلى الرواية السعودية، الأديب السعودي الروائي الشاعر الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي الذي كتب في فنون أدبية مختلفة، وأخذ على عاتقه الإبداعي، إرساء قاعدة الرواية السعودية، وذاعت صيته في المملكة العربية السعودية وخارجها.

وأما "المرأة" فهي لفظة مثيرة للجدل ومظلومة في مجتمع الرجال عبر تاريخ الإنسانية، فإذا نظرت إلى مجتمع البراهمة في الثقافة الهندوسية، وإلى العالم العربي بعد نظرة عابرة لتاريخهم وحتى إلى الثقافة الأوروبية "المزعومة" التي تؤكد على تحرير المرأة من أغلال الثقافة.

ويعطي التصفح للنثر العربي والشعر إيماءات، بأن المرأة إما استخدمت كأداة وقورنت بالمهائم والظباء وبيضة النعام أو مجدت بصورة مجهولة في الأشعار العربية: من الجاهلية إلى العصر الأموي وإلى العصر العباسي. فلا نجد دورا فعالا للإمرأة تعمل في بناء المجتمع البشري. وإنما لا أبالغ إذا أقول إن هذه المرأة قد تم تصويرها بصورة مجهولة في أشعار الشعراء محض في ذلك الوقت.

وأما في العصر الحديث فبرز الكتاب والروائيون فيما بينهم النساء الذين ساهموا بكتابتهم وأعطوا دورا هاما للمرأة في بناء المجتمع، لأنها ركيزة من الركائز الأساسية في بناء المجتمعات الإنسانية، إذ

لا يمكن لأحد أن يتصور تطور أي مجتمع بعيدا عن تطور المرأة ورفيها، فهي الزوجة، والأم، والحببية، ومربية الأجيال وغيرها. وهي تستحق الوقوف إليها، والمرأة نصف المجتمع كما يقال.

ومن هؤلاء الأدباء والروائيين، الأديب السعودي والروائي الكبير غازي عبد الرحمن القصيبي الذي عالجت رواياته قضايا المرأة بشكل واضح التي تعد من الموضوعات الأساسية فيها، ولأن المرأة، في نظر الكاتب، هي البنية الأساسية في المجتمع، وبدونها لا يمكن تطور للمجتمع، فلذلك وقف في الدفاع عنها وحماتها ومساعدتها، محاولة أن تكون شريكة الرجل في مشاطرة الحياة في مختلف المجالات، السياسية والاجتماعية والوطنية وغيرها، وكشف الكاتب عن حقيقة المرأة ودورها في المجتمع في تطوير الحياة الإنساني، وهي تلعب دورها في صور مختلفة في حياة الإنسان، أمثال: الأم، والزوجة، والحببية، ومربية الأجيال، العاملة وغيرها، وأوضح أنها ليست لرعاية الأطفال فقط، بل تعلم الأمور الأخرى المتعلقة بالرجل من الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية وغيرها، وتستطيع أن تشارك مع الرجل في تلك الأمور وتقوم بها بكل يسر وسهولة.

ولعل طبيعة الحياة التي عاشها الأديب غازي القصيبي وما تخللها من ظروف وأحوال متنوعة بين الكآبة والقهر والظلم والحرمان، قد شكلت وكونت في نفسية هذا الأديب صورا مختلفة ومتنوعة للمرأة. كما هو معروف أن القصيبي قد ماتت أمه في طفولته وحرم من حنان الأم، فإن الأم هي رمز الحنان، والطفل يجدها كمجتمع كامل يعيشه، وبعد وفاة أمه تولت رعايته جدته وأعطته كل العناية والحنان، ولعل هذا جعل للمرأة مكانا خاصا وتميزا في ذهنه وأفكاره جاءت من خلال أعماله الأدبية.

فقد قسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة. أما الباب الأول فهو ينقسم إلى ثلاثة

فصول: وفي الفصل الأول ألقى الضوء على الحالة السياسية في المملكة العربية السعودية في بداية

القرن العشرين، مع أدوار الحكم السعودي المختلفة التي مر بها الحكم السعودي حتى أصبحت في صورة المملكة العربية السعودية الحالية التي تقودها الأسرة السعودية حالياً، وفي الفصل الثاني ذكرت الحالة الأدبية و الثقافية في بداية القرن العشرين. وفي الفصل الثالث ألقى الضوء على تطور الرواية السعودية في القرن العشرين وذكرت فيه المراحل المختلفة التي مرت بها الرواية السعودية، وهي مرحلة النشأة والتأسيس، ومرحلة النضج الفني، ومرحلة التجديد والتحديث.

أما الباب الثاني فقد قسمت إلى ثلاثة فصول: يشتمل الفصل الأول على بيان اسم صاحبنا الروائي غازي عبدالرحمن القصيبي ونسبه ونشأته وحياته التعليمية، والفصل الثاني يلقي الضوء على حياته العملية، والفصل الثالث يتحدث عن أدبه ومؤلفاته القيمة.

وأما الباب الثالث فهو يشتمل على ثلاثة فصول: في الفصل الأول عالجت تحليل صورة المرأة في روايات غازي القصيبي، صور المرأة المتنوعة في ثنايا رواياته، حيث سلطت الضوء على صورة المرأة اجتماعياً: المرأة الزوجة، والمرأة الحبيبة، والمناضلة، والمرأة البغي، والمرأة الأمية، والمرأة المثقفة، والمرأة الأم، والفصل الثاني تناول صورة المرأة السياسية وسلط الضوء على دورها القيادية وما تمتلكه من بعد نظر في الكثير من المواقف، والفصل الثالث يشتمل على موضوع المرأة فكرياً وثقافياً.

ولا بد لي أن أقدم جزيل الشكر والامتنان لأستاذي المشرف البروفيسور الدكتور فيضان الله الفاروق حفظه الله الذي قدم لي من نصحه وإرشاده وتشجيعه وتوجيهه دروساً لن أنساها طيلة حياتي، كما على أن أبدي مشاعر العرفان والشكر لجميع الأساتذة والأصدقاء والزملاء الأعزاء الذين تعاونوا في إعداد هذا البحث وأرجوا أن يكون التوفيق قد حالفني في جهدي هنا، واعتذر عن نواحي النقص والتقصير، فالكمال لله وحده.

طارق عمران

120، كاويري هوستل

جامعة جواهر لال نهرو

21/07/2015

الباب الأول

الأحوال السياسية والأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية في القرن العشرين

الفصل الأول: الحالة السياسية في بداية القرن العشرين

الفصل الثاني: الحالة الأدبية والثقافية في بداية القرن العشرين

الفصل الثالث: تطور الرواية العربية السعودية في القرن العشرين

الفصل الأول

الحالة السياسية في بداية القرن العشرين

للمملكة العربية السعودية مكانة بارزة مرموقة في العالم بكونها موقعا استراتيجيا جغرافيا، وأرضا مقدسة، توجد في أرجائها قبلة المسلمين، وفي حدود هذه البقعة المباركة يقع الحرمين الشريفين. وبلاد العرب أو جزيرة العرب من البلاد القليلة التي حافظت على تقاليدها وعاداتها وطرق معاشها منذ أقدم عصور التاريخ. و"بلاد العرب أو جزيرة العرب كما تعرف عند علماء العرب هي الأراضي المحاطة ببحر الهند، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر ثم دجلة والفرات ويبلغ عرض الجزيرة 700 ميل ومنتهى طولها 1200 ميل وتزيد مساحتها عن مساحة الهند"¹.

وتميزت شبه الجزيرة العربية بموقعها الذي يتوسط بلاد الشرق الأدنى القديم، ودورها البشري المؤثر في تكوين السلالات الأكثر عددا بين سكانه الأقدمين، كما كان لها نصيب أيضا من دور الوساطة والتأثير في بعض خطوط اتصالاته واقتصادياته².

أدوار الحكم السعودي المختلفة:

إن الحكم السعودي قد إزدهر وتطور واتسع حتى جاء في صورة المملكة العربية السعودية الحالية التي تقودها الأسرة السعودية حاليا تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود بعد وفاة الملك عبد الله بن عبد العزيز الحكيم في عام 23 يناير 2015م. وتم إقامة هذه الدولة بعد ضحايا كبيرة ومقاومات راسخة ضد الغاصبين. وقد مرت الدولة من قيامها بهذا الشكل بمراحل ثلاث هامة كما تقول الدكتورة مديحة أحمد درويش: "لقد اتفق جمهور المؤرخين على تقسيم آل سعود إلى ثلاث فترات إصطلحوا على تسمية الفترة الأولى، إلا وهي فترة التكوين والتأسيس باسم (الدولة السعودية الأولى) والفترة الثانية التي بدأت بظهورها على مسرح الأحداث السياسية باسم (الدولة

¹ - حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، عام 1935م.

² - المستفاد من: ويكيبيديا العربية ، الموسوعة الحرة :السعودية.

السعودية الثانية). أما الفترة الثالثة فعرفت (بالدولة السعودية الثالثة) حتى إذا ما اكتمل قيامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وذلك سنة 1932م- عرفت باسم المملكة العربية السعودية³. وروت الأسرة السعودية هذا النبت الصغير بدمائها من مدينة الدرعية الصغيرة إلى مدينة الرياض كعاصمة للمملكة التي تعرف في كل أنحاء العالم لأسباب متعددة وناحيات استراتيجية بما فيها دينية واقتصادية وثقافية وتاريخية.

"ولقد ثبت في مدارج انساب العرب الصحيحة: أن البيت السعودي المالك في المملكة العربية السعودية قد انحدر من صلب ربيعة بن زار بن معد بن عدنان"⁴. "وقد سميت المملكة انتسابا إلى جد الملك المرحوم عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وهو سعود بن محمد. وجرت هذه السلسلة من النسب بشكل "جلالة الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد"⁵. كما سبق أن هذه المملكة قد وصلت إلى كمالها بمرور ثلاث مراحل هامة في تاريخها، فأنا ألقى الضوء على جوانب هذه المراحل الهامة.

الدولة السعودية الأولى (1744-1818م):

ظل هذا العهد سبعا وثمانين سنة، وكانت الحالة السياسية والاجتماعية في الجزيرة العربية متفككة، ولم يكن الأمن فيها وكانت توجد كثرة الإمارات المتناثرة مما أدت إلى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي وكذلك الوازع الديني قد ضعف لأن البدع والخرافات كان منتشرا في الجزيرة العربية، وهذه الحالة أجبرت حاكم الدرعية وأميرها محمد بن سعود على اللقاء التاريخي مع الإمام

³ - الدكتور مديحة أحمد درويش ، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص:19، دار الشروق ، جدة ، الطبعة الأولى، عام 1980م.

⁴ - صلاح الدين مختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ص:29.

⁵ - المصدر السابق ، ص:26.

المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان - حينئذ - في الدرعية وكان مشغولاً في نشر الدعوة الإصلاحية الدينية الصحيحة. "فقد أمن محمد بن سعود وأبناءه من بعده بدعوة محمد بن عبد الوهاب واتخذوها نظاماً أساسياً لحكمهم، ومسوغاً كافياً لفتوحاتهم وتوسعهم، وهي عقيدة تقضي: "أن من آمن بها فهو المسلم الحق ومن لم يؤمن وجب قتاله ليعود طوعاً أو كرهاً إلى الإيمان الصحيح، من هذا المنطلق الديني سيقى كتائب "المسلمين" إلى "الجهاد والفتح" بغية إعادة الناس الذين ضلوا إلى "توحيد الله". وبالحماسة للمبدأ الديني انتصرت جيوش عبدالعزيز بن محمد وإبنه سعود على الرياض والأحساء وقلب الجزيرة. وهاجمت كربلاء، إنتقاماً لحادث النجف الذي هوجمت فيه قافلة نجدية، وقتلت ونهبت أموالها"⁶.

هناك بعض المصادر التي تشير إلى أن الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب اتفقا على أن تكون الشؤون الدينية لمحمد بن عبد الوهاب ونسله، وأن الأمور السياسية لمحمد بن سعود وذريته من بعده، وكان هذا الاتفاق الأساس الذي قامت عليه دولة جديدة في المنطقة وهي تعرف بالدولة السعودية الأولى.

وبسبب هذا الاتفاق قد فتح باب الخير والبركة، وجاءت الوفود من كل الإمارات الدرعية، وأصبح محمد بن سعود أول أمير وهابي في نجد، فتحوّلت الدرعية إلى عاصمة دينية وسياسية وحرية في نفس الوقت، مما أدى إلى تحسن أحوالها الاقتصادية لأن أهلها كان يحصل على الغنائم من المهاجرين إليها والزكاة التي كانت تعطى البلدان الخاضعة للدرعية.⁷

⁶ - الدكتور بكرى شيخ أمين ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص20 ، دارالعلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، عام 1986م.

⁷ - تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص24.

شعر أمراء نجد والشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه لتوحيد نجد تحت راية واحدة لكي تستفيد جماعة كبيرة من الناس من الدعوة الإصلاحية الجديدة. وهكذا بدأت محاولات توحيد نجد، وهذه المرحلة الأولى من مراحل توحيد نجد شهدت انضمام بلدان نجدية إلى الدولة الجديدة بطريقة سليمة، مثل "ضرماء" و "شقراء" ولكنها شهدت أيضا مشكلات داخلية متعددة وفي مقدمتها مشكلة من أمير العيينة عثمان بن معمر⁸. ولم تستهدف هذه الدولة الجديدة الآخرين في مجال العسكري بل كانت هناك مؤامرات ضدها حتى واجهت الغزو العسكري من حكام الأحساء الخالدين عام 1172هـ. ولكن هذه الحملة العسكرية فشلت ضد الدولة السعودية. وقد ترك هذا الفشل العسكري أثرا كبيرا على التطورات السياسية والاجتماعية في نجد في صالح الدولة وأدرك منافسوها قدراتها. وجاء بعضهم إلى مصالحتها ودفع غرامات مالية إليها. وحصلت الدولة السعودية قوتها أثناء أربع سنوات قادمة حتى أصبحت قادرة للغزو ضد أمراء الأحساء. وهكذا نشأت الدولة من جديد لتوحيد دويلات نجد بكل القوة تحت قائد جديد شاب للقوات السعودية، وهو عبد العزيز بن محمد بن سعود.

وكانت سنة 1765م من أشد السنين على محمد بن سعود لأن فيها حاكم الأحساء وحاكم نجران قد تحالفا وأرادا أن يهاجما على الدرعية للقضاء على عهد الدعوة الدينية وإنهاء شوكة دعائهما، التقى هذا الجيش بجيش عبد العزيز بن محمد في "الحائر" التي هي في جنوب الرياض. واستمرت هذه المعركة العنيفة بينهما حتى انهزم الجيش السعودي فيها، وتمكن محمد بن سعود من الصلح مع صاحب نجران ودفع مبالغ مالية إلى الرئيس النجراني⁹. ونظرا إلى هذا الانتصار تفكر الأعداء في الغزو ضد الحكم السعودي، فجمع زعيم بني خالد انصاره وأعوانه لتحقيق هذا الهدف ولكن هذه العملية العسكرية فشلت أمام ثبات سكان الدرعية وشجاعتهم لمواجهة أعدائهم.

⁸ - المصدر السابق ، ص26.

⁹ - جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص244.

وفي سنة 1179هـ / 1766م توفي الإمام محمد بن سعود وتولى الأمر بعده عبد العزيز وقام بالتحديد ما اندرس من معالم الدين وإعلاء كلمة الله، كما أنه واصل الغزوات على الإمارات والبلدان التي كانت تظهر التمرد و تنكر الدعوة الدينية الجديدة، ففي عام 1208هـ هجم جيش التوحيد على الأحساء وفتحه وقضى على بني خالد، وكذلك في سنة 1212هـ قضت هذه القوات على جيش الشريف غالب لأنه كان من الأعداء الأقوياء لهم، وقد قضت السياسة: أن تكون المصالحة بين الفريقين وبفتح سبيل الحج للحجاج النجديين، ولكن هذه المصالحة قد انقطعت ولم يحترم كلا الجانبين الآخر لشروطها المتفق عليها، وكذلك مارس المصلحون النجديون السياسة وهي: نشر علم التوحيد في كل جزيرة العرب والقضاء على القوات المعارضة حتى يسود الأمن سائر الجزيرة وحتى تأمن الدعوة شر الانتقاض والمعارضة¹⁰.

أصبحت هذه الدولة الجديدة دولة منظمة، وكانت لها نظام الإدارة والحكم، وكل ما يجب وجوده في دولة منظمة تحت حكم سليم أمثال قسم الأمن والشئون العسكرية وقسم النظام المالي بما فيها معاملة الزكاة والغنائم، وقسم المحاكم والعقوبات ونظام العلم والتعليم.

سقوط الدولة السعودية الأولى:

كانت الدولة العثمانية تريد الحصول على سيادتها على الحرمين الشريفين مرة أخرى، حتى تستعيد هيبتها في العالم الإسلامي، وإنما عازمت على انتزاع تلك المنطقة من آل سعود والقضاء على دولتهم، وأمرت الحكومة التركية محمد علي حاكم مصر لمحاربة الدولة السعودية عام 1213هـ . وهكذا أرسل للحجاز محمد علي جيشا كبيرا بقيادة ولده طوسون عام 1226هـ (1811م)، ولكن القوات المصرية

¹⁰ - المصدر السابق ، ص 245

واجهت هزيمة ساحقة في هذه المعركة مع القوات السعودية في وادي الصفراء. ولكن فيما بعد، تفكر محمد علي في القضاء على ملك آل سعود وجهاز لذلك جيشا كان مشتملا على البدو والحضر، واختير لهذا الجيش إبراهيم باشا قائدا عاما. وجرت المعركة بين الجيشين وأخيرا اضطر الإمام عبدالله بن سعود للمفاوضات مع إبراهيم باشا على استسلامه لإنهاء الحرب الدائرة في المنطقة. واستسلم ابن سعود حسب الاتفاقية في عام 1233هـ (9 سبتمبر 1818م) وانتهت آخر حلقة من حلقات الدفاع البطولي الذي قام به السعوديون وانتهت دولتهم الأولى بعد هذا الاستسلام¹¹.

الدولة السعودية الثانية (1240-1309هـ / 1824-1891م):

مع أن قوات محمد علي باشا حققت الانتصار العسكري على الدولة السعودية الأولى، لم تتمكن من أن يقضي على مقاومات الدولة السعودية، ورجعت إليها فوضاها القديمة، وجاء الفساد وذهب النظام والأمن، وكانت هذه فرصة ثانية لآل سعود أن يستولوا على الإمارة كما طمع غيرهم أيضا. ولكن السؤال كان أمام آل سعود من يكون قائدا لهم؟.

كان هناك الأمير محمد بن مشاري بن معمر الذي طمع في الإمارة، سار من العيينة إلى الدرعية، ولقي العون والمساعدة من الناس من الوشم وانضم إليه أيضا أهالي القصيم والزلفى وثرمداء. وكذلك مشاري بن سعود الذي توجه أيضا إلى الدرعية في سنة 1235هـ وقابله لكن الأمر انتزع من ابن معمر بلا مقاومة وبإيعاز مشاري، وبدون مقاومة ثانية استرد ابن معمر الإمارة وألقى القبض على مشاري. وهنا يقوم

¹¹ - تاريخ الدولة السعودية.. حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص51، 55.

تركي بن عبدالله فينار لابن مشارى، ويقبض على ابن معمر و ولده ويقتلها جزاء تسليمهم مشارى للترك¹².

تركي بن عبد الله (1235هـ - 1249هـ):

هو تركي بن عبد الله بن سعود، ويعتبر تركي منشئ الدولة الثانية لآل سعود في سنة 1235هـ، لقد ترك تركي هذه السنة الرياض بعد حصار الأتراك له، ولكن استمرت مناوشاته مع أعدائه منتقلا من بلد إلى أخرى وأخيرا استرد الرياض مرة أخرى وأخضع نجد كلها تحت رايته. وفي عام 1249هـ قتله مشارى بن عبد الرحمن بن سعيد وأعلن نفسه أميرا على نجد. وحينذاك كان فيصل بن تركي بن تركي بن عبدالله في القطيف، رجع إلى الرياض ليثأر لأبيه. وفي عام 1250هـ قتل فيصل بن تركي مشارى ومساعديه على قتال أبيه، وأصبح فيصل نفسه إماما وحاكما على نجد¹³.

كان الأمير فيصل بن تركي وانصاره في قبضة الأتراك من 1242 - 1234هـ. وكان ألقى القبض عليه أثناء استيلاء القوات التركية- المصرية على الدرعية لإنهاء الدولة السعودية الأولى. وفر من مصر وشارك مع أبيه في غزوات كثيرة ضد الغاصبين، والأمن أراد فيصل بن تركي إعادة توحيد البلدان النجدية تحت قيادته، ونجح في إخضاع أكثر البلاد العربية ماعدا الحجاز وأعاد عهد النظام والأمن في البلاد العربية بعد أن انتشر فيها الفساد والفساد.

ونظرا إلى هذا الأمن والنظام خاف محمد علي والأتراك من عود الأمير لآل سعود كما كان، واعتبروا القوة السعودية الناشئة تحديا كبيرا، وأخيرا اتفق ولاة الأمور. المصريون والأتراك . للقضاء على

¹² - الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليّة ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ، ص 40 ، 37 ، دارالمريخ للنشر ، الرياض ، الطبعة الرابعة.

¹³ - جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص 258

فيصل فلهذا الأمر المهم أرسلوا خورشيد باشا بحملة عسكرية إلى نجد عام 1254هـ. وبعد معارك دامية فيما بينهما استسلم له فيصل، فأرسله خورشيد باشا مع أخيه جلوي وولديه عبدالله و محمد إلى مصر.

"وقد بقي الإمام فيصل في مصر من سنة 1254هـ إلى سنة 1259هـ، كانت نجد تخوض فيها فتنة أهلية بين خالد بن سعود و بين عبدالله بن ثنيان، الذي يريد استخلاص نجد من قوات الأتراك، واستتب الأمر فيها لعبد الله ثنيان وهرب أخيرا خالد بن سعود من الرياض إلى الأحساء فالقطيف فالكويت فمكة حيث توفي بها. وأثناء ذلك، تمكن الإمام فيصل بن تركي من الفرار من مصر مرة ثانية ووصل إلى الرياض، وأسلم له سائر الرؤساء، وتمكن بعد مدة قصيرة من استعادة المملكة القديمة ما عدا الحجاز، وقد ساعد على ذلك أولا انسحاب الجيوش المصرية من البلاد العربية، وزوال نفوذهم من تلك البلاد نتيجة لمعاهدة لندن سنة 1840م، وثانيا مسلك الحكمة والتبصر الذي اتبعه الإمام فيصل مع الأتراك الذين اكتفوا بسيادتهم الإسمية على بلاد العرب، وبذلك عادت الطمأنينة إلى قلوب السكان، وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط عليها فيصل سلطانه ونفوذه"¹⁴. "وفي سنة 1282هـ (1866م) توفي الإمام فيصل وبموته أوجد التنافس بين ولديه عبدالله وسعود سبيلا لإعدادهم، فاستفادوا من مقاتلة الأخوين"¹⁵.

الحرب الأهلية وسقوط الدولة:

ازداد الشقاق والتنافس بين عبدالله بن فيصل الحاكم الحقيقي والشرعي للدولة السعودية وبين أخيه سعود بن فيصل الخصم والمنافس للإستيلاء على السلطة. والخصومة بين الأخوين جعلت تزداد

¹⁴ - المصدر السابق ، ص260،261.

¹⁵ - المصدر السابق ، ص263.

وأخذ كل فريق يسعى غلبة على خصمه، وبسبب هذا القتال المتواصل بين الإخوة السعوديين غلبت على الدولة الركاكة والجمود و وجد أعداءهم الفرصة وبدأوا يشنون الهجوم وينهبون أطراف العاصمة الرياض. وبعد أن توفي سعود بن فيصل في سنة 1288هـ (1871م) أصبح أخوه عبدالرحمن بن فيصل حاكم الدولة السعودية. ولكن الأخ الكبير عبدالله بن فيصل اعترض على قيادته فدخل الرياض معلنا بكونه حاكما و إماما فيها. فلا يريد أخوه عبدالرحمن أن تنتشر الفتن فترك الإمارة سلميا وبايع عبدالله بن فيصل كحاكم في الرياض، ولكن هذا الحكم لم يدم طويلا، وبعد وقت قليل أبناء أخيه سعود تمكنوا من القبض عليه وجيشه سنة 1887م، فأسرع محمد بن رشيد حاكم حائل إلى مساعدته، ونجح في إخلاصه من القبض وعين سالم بن سبهان أميرا في الرياض. وهكذا سيطر الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على الحكم السعودي. وفيما بعد جرت اشتباكات صغيرة بين الأمير محمد بن رشيد وبين عبدالرحمن بن فيصل الذي كان تحديا أخيرا لمحمد بن رشيد في الدولة السعودية. وأخيرا انهزم عبدالرحمن وأتباعه، وذهب عبدالرحمن بن فيصل مع أسرته إلى الكويت. وهكذا انتهى الأمر بالقضاء على إمارة آل سعود مرة أخرى¹⁶.

المرحلة الثالثة: عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وبناء الدولة الجديدة:

ولد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود في الرياض في شهر ذي الحجة عام 1297هـ (1880م)¹⁷. "وفي الوقت الذي هاجر فيه الأمير عبدالرحمن بن فيصل إلى الكويت كانت سن عبدالعزيز لاتزيد عن اثنتي عشر سنة، فهو لم يشاهد مجد جده فيصل بل شاهد محنة أبيه عبدالرحمن وعائلته. ذاق عبدالعزيز مرارة العيش في الكويت، ولم يحتمل أن يعيش تلك الحياة الهادئة.

¹⁶ - تاريخ الدولة السعودية..حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص 67. 64.

¹⁷ - فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 362.

وقد كبر على نفسه أن يعيش تحت جناح الشيخ مبارك بعد ما كانوا بالأمس سادة نجد، فقرر أن يخاطر: فإما أن يفوز فيكون قد أدى واجبه نحو نفسه ونحو عائلته، وإما أن يموت فيستريح من عذاب الضمير¹⁸.

ظل عبدالعزيز عشر سنوات تقريباً في الكويت، رأى فيها مبارك الصباح الذي حصل على الكرسي المملوكي بالدم بعد قتل أخويه محمد وجراح، ورأس ابن رشيد في زمن مجده، وكان النزاع بين أمراء العرب في الجزيرة مستمراً في ذلك الوقت، ورأى التنافس الشديد بين السلطنة العثمانية والإمبراطورية البريطانية. الهندية لبطء نفوذ والتوسع في ساحل الخليج الفارسي، فكانت هذه البيئة النضالية بين الأمراء أصبحت كمعلم له، وكان له من مشاهداته واختباراته أيام شبابه الأولى ما جعله يعد نفسه لليوم الأكبر، وبدأ يتفكر في القيام بالعمل العظيم لإعادة مجد آل سعود ولاكتساب سلطتهم المفقودة¹⁹.

كان عبد العزيز رجلاً ذهب بالمملكة إلى مكانة رفيعة في المجالات الكثيرة وأثرها وعمل في رفاهية البلد، وبعد اكتشاف البترول فتح عبد العزيز الباب لدخول الشركات الأمريكية في المملكة، وعمل في مجال العلم، وقام ببناء المصانع والمعامل كما يقول د. بكري شيخ أمين: "له الفضل في غنى المملكة ورفاهيتها. استقدم الخبراء فاكشفوا البترول، ورخص للشركات الأمريكية باستغلاله لمصلحة بلده، وبالمال الذي حصل عليه زرع الأرض، وبنى المعامل والمصانع، وشق الطرق، وحضر البادية، ونشر العلم، وحارب الكسل والاتكال وفكرة احتقار الصناعة"²⁰.

¹⁸ - جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص272.

¹⁹ - قواد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص362.

²⁰ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص28.

استولى مبارك الصباح على حكم الكويت بعد أن قتل أخويه في سنة 1313هـ وكان له أعداء لا يحبونه وسعوا به لدى الدولة العثمانية وأغروا ابن رشيد به. لكن مبارك الصباح طلب الحماية من الإنكليز فحموه من الترك وابن رشيد، وبذلك أمراء العرب انقسموا في جماعتين: أحدهما للدولة بزعامة ابن رشيد، والثاني للإنكليز بزعامة ابن صباح، هكذا انفجر النزاع بين الكويت والحائل بعد أن ظل الوفاق بينهما لزمان طويل، فنظرا إلى هذا النزاع استفاد عبد العزيز منه وجمع رجالا من قومه للثأر من آل رشيد واسترجاع المجد المفقود. ثم خرج عبدالعزيز من الكويت سنة 1319هـ / 1901م مع أربعين رجلا وضرب العشائر التابعة لابن الرشيد لكي يجتمع حوله رؤساء البدو، وبالفعل نجح في خطته وأصبح جيشه ألفا وفرسانه نحو 400. واتخذ هدفه نجدا الجنوبية. "وقد استمر الصراع بين عبد العزيز وابن الرشيد على شكل مناوشات كانت تنتهي دائما بفوز الإمام عبد العزيز، وذلك لمحبة الناس له، وهكذا أصبح عبد العزيز سيد منطقة نجد الوسطى بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية والتي تجمع الخرج والحوطة والحربي والأفالج ووادي الدواسر"²¹.

وأصبح أمر آل الرشيد ضعيفا بعد قتل زعيمهم عبد العزيز بن متعب عام 1324هـ وتوقفوا عن خلافاتهم الداخلية في الإمارة، ولكن سنة 1909م، كانت من أشد السنين على الأمير عبدالعزيز لأنه قد واجه في هذه السنة ثلاث جهات: ابن الرشيد من جهة، وثورة أبناء عمه في الجنوب، وتقديم الشريف حسين إلى نجد، ولكن عبد العزيز غلب على أعدائه. "وفي سنة 1913م رأى الأمير عبدالعزيز الدولة التركية أخذة في التصعد والإتهيار، ورأى المطامع تكتنفها من كل ناحية، فانتهاز فرصة خروجها من حرب بلقان منهوكة القوى، وانقض على إقليم الأحساء واستخلصه من النفوذ التركي وبذلك نفذ إلى الخليج

²¹- تاريخ الدولة السعودية..حتى الربع الأول من القرن العشرين ، ص75.

العربي. وبدأت اتصالاته السياسية بالحكومة البريطانية²². وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى في سنة 1914م، نظر عبد العزيز إلى الجزيرة العربية وأمعن النظر في حالته الراهنة في قلب الجزيرة فوجد نفسه في ظروف خطيرة، وتفكر في اختيار طريق واضحة يسلكها، ورأى للاستفادة من الحرب، ودعا أمراء العرب إلى الاستفادة من الفرصة، ولكن لم يكن أحد منهم استجاب دعوته، وظل وحيدا حتى مرت سنة من الحرب.

وفي سنة 1915م أعلن عبد العزيز معاهدة القطيف مع البريطانيين بعد أن الشريف حسين قد أنكر من التعاون مع الأتراك إلى اتفائه مع الانكليز، وحصل منهم على الأموال والسلاح، وأسرع بن سعود إلى استغلال الفرصة، فاتفق والانكليز ليقطع الطريق على الشريف حسين، وهو أول معاهدة بينه وبين الانكليز، لكن بعد فتح الحجاز قد تم إلغاء هذه المعاهدة وعقد معاهدة الصداقة وحسن التفاهم في عام 1927م²³.

وفي سنة 1916م حدثت الثورة الجديدة ضد الدولة العثمانية من جانب الشريف حسين لأنه كان يريد أن يكون ملكا على الحجاز، ففعل هذا ونصب نفسه ملكا عليها وبعد ذلك على العرب أجمعين، وكان يدعي أنه زعيمهم الأكبر. ولكن الإمام عبدالعزیز لا يحب ما ينادي به الشريف حسين واحتج ابن سعود ضده. عندما سمع عن هذا فسعى أن يرضيه، وأرسل إليه رسائل لطيفة وهدايا جيدة لكسب وده ولكن في ذلك الوقت نفسه دبر مع أمير حائل لقتل ابن سعود. أدرك عبدالعزیز المؤامرة، ولكنه ظل ساكتا حتى جعل الحسين يستولي على بعض الأراضي الداخلة في الدولة السعودية. وكان من الضروري المحاربة مع الحسين، واسترجاع الأراضي المحتلة منه، فلهذه المهمة دعا إلى مؤتمر عام للإخوان وأركان

²² - جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص276.

²³ - فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص376.

الأُسرة والعلماء ورؤساء العشائر في الرياض، وأوضح أمامهم الأوضاع الراهنة التي تهدد وجودهم و أراضيهم وهويتهم.

وبعد الحصول على هذه المساعدة من جانب الإخوان والعلماء والرؤساء، تمكن عبدالعزيز من تصفية ابن رشيد، كما يقول الأستاذ بكري شيخ أمين:

" وجهز الأمير جيشا قوامه عشرة آلاف محارب من أهل نجد سنة 1340هـ . 1921م. وسار على رأسه نحو حائل، حتى إذا وصل إلى تخومها حاول الشمريون مصالحته على أساس أن يبقى لجبل شمر استقلال ذاتي ويتولى عبدالعزيز الشئون الخارجية. ولم تتم عملية المصالحة حتى ابتدأت المعركة، فاستغاث الرشيديون بالانكليز بالحسين فلم يلب أحد وأخيرا فتحت المدينة أبوابها للسلطان مستسلمة مع أسرتها الحاكمة. فأكرمهم وعفا عنها جميعا. واحتل خيبر، و وادي السرحان والجوف وتوسع شمالا وكاد يصل إلى مشارف عمان فبادرت القوات الانكليزية بقصف قواته جوا و برا. وحاولت انكلترا تصفية الجو بين نجد والعراق والأردن فأخفقت لأن الحسين كان ورائها. وأخيرا انطلق الإخوان إلى الحجاز ومرو بالطائف سنة 1924م فاحتلوها دون عناء. وخاف أهل مكة من خطرهم. واجتمع أعيان الحجاز وتجاره وعلماءه وأشرفه في جدة وقرروا عزل الحسين الذي أوقع بلادهم بورطة نتيجة لتصرفاته المتسارعة و رغبوا أن تتمتع الحجاز كما تتمتع نجد بالأمن والاستقرار وأرادوا أن نتخلصوا من فداحة الضرائب ومن الاستغلال الذي فرضه الحسين على الحجاز والحجاج. وطلبوا منه التنازل عن القرش لابنه "علي" إنقاذا لهم، فرفض فعزلوه و بايعوا ابنه واضطروا أن يغادر جدة إلى العقبة، ودخل الإخوان مكة في 17 ربيع الأول 1343هـ. 16 أكتوبر 1924م ثم احتلوا كل المناطق المجاورة وانضمت المدينة المنورة تحت اللواء الجديد و نادى الحجازيون بعبد العزيز في 22 جمادي الثانية 1344هـ . كانون الثاني 1926م ملكا على الحجاز

فصار لقبه "ملك الحجاز وسلطان نجد و ملحقاتها" وصدر مرسوم ملكي بتاريخ 21 جمادي الأولى سنة 1351هـ. 22 سبتمبر 1932م يقضي بتوحيد البلاد تحت اسم واحد هو "المملكة العربية السعودية"²⁴.

وهكذا أصبحت الدولة السعودية المملكة العربية السعودية. واختار حاكمه لقب "الملك" بدلا من لقب "الإمام السابق". ونودي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أيضا بملك المملكة العربي السعودية وأسد الجزيرة.

الفصل الثاني

²⁴- جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص38.

الحالة الأدبية والثقافية في بداية القرن العشرين

إن الذين يدرسون الأدب السعودي الحديث فلا يخفى عليهم أن الحياة الأدبية والثقافية في هذه البلاد طوال الأول من القرن العشرين وقبله كانت تمر بعصور الجمود والضعف والانحطاط، وكانت هذه الحياة الثقافية والأدبية مقصورة على قرص الشعر والمديح وكتابة المقال السياسي والإصلاحي. ثم جاء العهد السعودي المصحوب بالاستقرار السياسي والاقتصادي، فقامت مراكز التعليم الأساسية في كافة أرجاء البلاد والتي مهدت السبيل لظهور الكليات والجامعات و دور العلم والمعرفة، وانتشرت المطابع والصحف والمجلات، التي ساعدت في تثقيف الظروف وإصلاح الأوضاع الاجتماعية، وإرساء دعائم النهضة الأدبية الحديثة في هذه البلاد²⁵.

ولاشك فيه أن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري لها أثر بالغ في النهضة الأدبية في شبه الجزيرة العربية، وغاية هذه الدعوة كانت تصحيح العقيدة للذين ضلوا عن طريق الدين الصحيح واتبعوا سبل الغواية والضلال، وقد تركت هذه الدعوة أثرا كبيرا على الحياة العامة في نجد وعلى الحياة الأدبية والعلمية منها بخاصة. وبالإضافة إلى ذلك عوامل أخرى ساعدت على انعاش الحياة الأدبية والثقافية²⁶. ومن بينها توافر التعليم وانتشار الصحافة من بين العوامل الرئيسية التي لعبت دورا هاما في ظهور النهضة الأدبية وإرساء دعائمها في البلاد وتكوين طبقة المثقفين والمبدعين فيها، وسوف أتوقف هنا وقفة غير متأنية على تطور التعليم والصحافة في المملكة العربية السعودية

²⁵ - حفظ الرحمن الإصلاحي ، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص23 ، جداول للنشر والتوزيع ، لبنان ، الطبعة الأولى ، عام 2011م.

²⁶ - ندى بنت صالح بن علي أبا الخيل ، حسن بن عبدالله آل الشيخ (1352 ، 1407هـ) ...حياته ونثره ، ص 8 ، الإدارة العامة للثقافة والنشر ، الطبعة الأولى ، عام 2004م.

خلال النصف الأول من القرن العشرين. ويمكن لنا أن نقول إن الصحافة قد مرت بمرحلتين : المرحلة الأولى: الصحافة قبل توحيد البلاد، والمرحلة الثانية: الصحافة بعد توحيد البلاد.

الصحافة قبل توحيد البلاد:

في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان معظم العلماء ممن ينتمون إلى المراكز العلمية الدينية التي كانت موجودة حينئذ في بعض أنحاء الجزيرة العربية. وبما أن هؤلاء العلماء إهتموا بعلوم الدين واللغة والتاريخ فإنهم لم يتوجهوا كثيرا إلى الأدب، وإذ كانوا مع هذا يؤثرون نظم الشعر على كتابة النثر فلذا أصبح النثر الأدبي شيئا قليلا. النثر الأدبي الموجود في هذه الفترة كان منقسما إلى قسمين: قسم تقليدي أنشئ في نطاق الأنواع الأدبية المتوارثة، وقسم آخر نشر في الصحف على صورة المقالات. والنوع الثاني الذي ظهر في عام 1908م يتسم بشئ من الجدة والحيوية، ويعالج موضوعات أوسع نطاقا من تلك التي تناولها النثر التقليدي.

المقالة الصحفية:

إن النثر الأدبي كان مقصورا على أنواع النثر التقليدي إلى عام 1908م، ثم ظهر نوع أدبي جديد في ميدان النثر الأدبي يختلف في شكله ومضمونه عن تلك الأنواع الأدبية التقليدية. ومن هذا النوع الأدبي الجديد جريدة "حجاز" صدرت بمكة المكرمة. وهذا النثر الجدد وجد بظهور الصحافة في المنطقة الغربية فقط التي كانت . بفضل الحرمين الشريفين . أكثر أجزاء الجزيرة العربية صلة بالثقافة والتعليم حينذاك. "حين صدرت جريدة "حجاز" ظهرت المقالة الصحفية لأول مرة في تاريخ النثر الأدبي في هذه البلاد، وأخذت هذه الجريدة وما تلاها من جرائد أخرى تنشر العديد من المقالات التي تعالج الشؤون

الاجتماعية والسياسية والأدبية بطريقة تختلف عما ألفه كتاب الرسائل والمفاخرات والتاريخ قبل سنوات عديدة²⁷. ولم تكن هذه المقالات التي نشرت في جريدة "حجاز" محصورة على الصبغة النقدية بل كانت متمسكة بالبحث على الرقي والتمدن، والدعامة لجمعية الاتحاد التي كانت سيطرة حينئذ على الحكم في الدولة العثمانية²⁸. ولقد نشرت الصحف في هذه الحقبة كثيرا من المقالات الاجتماعية والسياسية، ولكن كانت هناك بعض المقالات ذات قيمة أدبية ضئيلة بسبب ما اتسمت به من ركافة في التعبير وضعف في التركيب اللغوي²⁹.

وأما الجرائد الأخرى التي صدرت في العهد العثماني فهي: "شمس الحقيقة" و جريدة "الإصلاح" الأسبوعية، وهي جريدة سياسية أدبية تجارية، و جريدة "صفا الحجاز" و جريدتا "المدينة المنورة" و "الرقيب" بالمدينة المنورة، وكل هذه الجرائد صدرت في عام 1909م، وبعد بضعة شهور احتجبت عن الصدور.

وفي العهد الهاشمي الذي يمتد من بدء الثورة العربية الكبرى واستقلال الشريف حسين بالحجاز سنة 1334هـ / 1916م إلى أن قضى على حكم الهاشمين سنة 1343هـ / 1924م. وفي هذه الحقبة القصيرة صدرت ثلاث جرائد ومجلة واحدة. والجريدة التي كانت منبرا للأدباء العرب في الحجاز ومصر والشام هي "القبلة" وهي جريدة دينية سياسية واهتمت بالجانب السياسي أكثر من اهتمامها بالمجتمع، كما د. يؤيد بكري شيخ أمين لقد كانت جريدة "القبلة" المنبر الحر الذي أذاع منه الأدباء العرب في الحجاز وفي العالم العربي والمهجر أروع إنتاجهم القومي، ضد الأتراك، والفرنسيين، والصهاينة، والانكليز،

²⁷- د. محمد عبدالرحمن الشامخ ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ، ص48-47 ، دارالعلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثالث ، عام 1983م.

²⁸- المصدر السابق ، ص53.

²⁹- المصدر السابق ، ص58.

والمستعمرين دون أن يخشوا رقيباً يمسح من قصائدهم شيئاً أو يحد من حريتهم³⁰. ولهذا السبب يرى بعض الباحثين أن جريدة "القبلة" عامل بدء النهضة الأدبية الحديثة في الحجاز. وقد توقفت عن الصدور في عام 1926م بعد استيلاء الملك عبد العزيز على مدن الحجاز.

أما الجرائد الحجازية الأخرى التي صدرت في هذه الحقبة فلم وصلت إلى درجة كانت عليها "القبلة" بل لم تقترب من مستواها الفكري والأسلوبي، ومن هذه الجرائد جريدة "الفلاح" الملكية التي صدرت سنة 1919م وتوقفت عن الصدور بعد ستة وأربعين عدداً. وكذلك جريدة "بريد الحجاز" ما ظلت صادرة إلى مدة طويلة بل توقفت بعد صدور عدد قليل. وكما "المجلة الزراعية" التي أصدرها طلاب المدرسة الزراعية بمكة، توقفت بعد مدة قليلة³¹.

الصحافة بعد توحيد البلاد:

حينما استقر نظام الحكم ووجد عبد العزيز آل سعود أجزاء البلاد أخذت، الصحافة تسعى نحو الكمال والمثل الأعلى، وكان لها دور هام في تطور الحركة الأدبية الصحفية والأدبية في البلاد وفي ظهور فئة جديدة من الأدباء والشعراء والكتاب. فأول جريدة أسبوعية رسمية ظهرت في مكة المكرمة بعد توحيد البلاد هي جريدة "أم القرى" في عام (12-12-1924م)، وأعلنت أن مبدؤها هو خدمة الإسلام والعرب، وكانت تهتم بالموضوعات الإصلاحية والثقافية والقضايا الأدبية وبالإضافة إلى الاهتمام بالموضوعات الرسمية ومعالجة القضايا الصحفية ونشر الأخبار. وكانت هناك حلقة من الأدباء الذين تولوا على رئاسة تحريرها، منهم يوسف ياسين، ورشدي ملحس، وفؤاد شاكر، وعبد القدوس الأنصاري

³⁰- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص 107.

³¹- المصدر السابق، ص 109.

وغيرهم³². وكانت جريدة "أم القرى" هي الجريدة الوحيدة التي استمر صدورها خلال الحرب العالمية الثانية، لأن الصحف والمجلات الأخرى قد احتجبت عن الصدور عند الحرب العالمية الثانية، ومازالت جريدة "أم القرى" تصدر إلى اليوم، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية قد أثر فيها وانقصت صفحاتها في عام 1941م إلى أربع صفحات، وصارت فيما تصدر الإعلانات الحكومية وبعض الأخبار المحلية والخارجية³³.

وفي سنة 1932م، ظهرت جريدة "صوت الحجاز" في مكة المكرمة، التي لعبت دورا حاسما في انعاش الحركة الأدبية في البلاد، وكانت هذه الجريدة تهتم بالقضايا الأدبية والنقدية والفكرية والاجتماعية أكثر من اهتمامها بالموضوعات الصحفية والسياسية. وكان ثمة كثير من رجال العلم والأدب الذين تولوا على رئاسة تحريرها. منهم عبد الوهاب آشي، ومحمد حسن فقي، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد حسن عواد، وأحمد السباعي وغيرهم. ويؤيد الدكتور محمد الشامخ أن ظهور "صوت الحجاز" يعتبر من أبرز المعالم في تاريخ الأدب الحديث في هذه البلاد، ذلك لأنها قد أصبحت لسان حال كثير من الكتاب في العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من هذا القرن، وميدانا لعدد من المعارك الأدبية التي شهدها هذا الأدب في تلك الفترة³⁴.

وفي أول الأمر كانت هذه الجريدة تصدر مرة واحدة في الأسبوع، ثم أصبحت نصف أسبوعية حينما بدأت الحرب العالمية الثانية واشتعلت نيرانها توقفت عن صدورها، ثم ظهرت مرة أخرى باسمها الآخر "البلاد السعودية" واحتفظت بشخصيتها الأدبية. وأصبحت تصدر مرتين في الأسبوع، وفي عام 1953م أصبحت جريدة يومية واهتمت بالمقالات الأدبية والاجتماعية. وفي عام 1958م جاءت جريدة

³² - حفظ الرحمن الإصلاحي، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية، ص37.

³³ - د. محمد عبدالرحمن الشامخ، نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص151، دارالعلوم للطباعة والنشر، عام 1981م.

³⁴ - المصدر السابق، ص154.

أسبوعية باسم "عرفات" واندمجت مع البلاد السعودية" وأصبحتا تصدران باسم جريدة "البلاد" التي ظلت يومية في صدورهما³⁵.

وظهرت مجلات في النصف الأول من القرن العشرين، وكانت مجلات علمية وفكرية وثقافية وأدبية، وهي "الإصلاح" و"النداء الإسلامي" و"المنهل". صدرت مجلة "الإصلاح" في مكة المكرمة في أغسطس 1928م. لمتنت بالموضوعات الدينية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية، ولكن توقفت عن الصدور في عام 1930م. ومجلة "النداء الإسلامي" برزت في مكة المكرمة وهي مجلة دينية إسلامية، ثم توقفت بعد بضع سنين.

أما مجلة "المنهل" فلم تهتم بالموضوعات الدينية بل ركزت جل اهتمامها على الأدب والثقافة والعلم والاقتصاد والاجتماع، وقام الأستاذ عبد القدوس الأنصاري في عام 1937م بإصدار هذه المجلة في المدينة المنورة، وكانت مجلة شهرية تخدم الأدب والثقافة والعلم، كما أعلن رئيس تحريرها في افتتاحية العدد الأول: "إن من أهم ما تصبوا إليه "المنهل" أن توفق لتكون فاتحة عصر جديد ناضر زاهر في أدبنا الحجازي الفتي، فتعيد لهذه البلاد لمقدسة مكانتها الأدبية الشامخة بين أقطار العروبة ليغتنب العالم الحديث بقس الحجاز وسحبانه، ويشدو بنا بغته الجديد وحسانه"³⁶. وقد عالجت مجلة "المنهل" الموضوعات الأدبية الحديثة، واعتنت بالشعر الحديث والقصة القصيرة للكتاب المحليين، وكذلك اهتمت بنشر ما يترجم من الأدبين الشرقي والغربي، والمقالات النقدية والأدبية مع اهتمامها بالدراسات

³⁵ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص112.

³⁶ - نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ، ص170.

التاريخية والموضوعات الفكرية والاجتماعية. واحتجبت المجلة خلال الحرب العالمية الثانية، ثم صدرت مرة أخرى في مكة المكرمة في عام 1945م وتصدر من جدة ولا تزال حتى اليوم تصدر منها³⁷.

وفي ابريل 1937م، حمل عثمان حافظ مسؤولية إنشاء جريدة "المدينة المنورة" الأسبوعية التي اهتمت بالمقالات السياسية والاجتماعية والموضوعات الصحفية وأخبار المدينة المنورة وشؤونها المحلية، وخصصت قدرا كبيرا من أعمدها للقضايا الأدبية. وأسهمت هذه الجريدة في تشجيع الحركة الأدبية في المدينة وإبراز عدد من كتابها على المسرح الأدبي، كما يؤيد د. محمد الشامخ فأصبحت المدينة آنذاك مركزا أدبيا يشبه تلك المراكز التي وجدت في مكة وجدة. ولقد حاولت الجريدة كذلك أن تصبح وسيلة تثقيفية حادة، فكانت تراعي النشاط الفكري الذي كان موجودا حينئذ في المدينة، وتنشر المحاضرات التي كانت تلقي في أنديةها³⁸. وهذه الجريدة توقفت خلال الحرب الثانية في سنة 1941م، ثم عادت كجريدة يومية وتصدر إلى اليوم مستمرة. وتعد من الجرائد التي اهتمت بالفنون الأدبية من القصة والرواية والمسرحية والشعر والنقد، وتهتم بالأخبار الثقافية المحلية والعربية المعاصرة. كما يقول د. بكري شيخ أمين: "قد اهتمت "المدينة المنورة" بالأخبار أكثر من اهتمامها بالمقالات والبحوث، وخاصة بأخبار العالمين العربي والإسلامي"³⁹. وكانت هذه الجريدة أقدم صحيفة صدرت في المدينة المنورة. وتولى على رئاسة تحريرها عبدالله عبدالرحمن الجعفري وغالب حمزة أبو الفرج من أعلام الفن القصصي والروائي في المملكة العربية السعودية.

وظهرت مجلات أخرى في الخمسينيات، تعد من مجالات اهتمت بالموضوعات الأدبية الحديثة والمقالات الأدبية النقدية، بالإضافة إلى القضايا الفكرية والثقافية الأخرى، منها مجلة "قافلة الزيت"

³⁷ - النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص40.

³⁸ - نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ، ص163.

³⁹ - د. بكري شيخ أمين ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص115.

الشهرية التي ظهرت عام 1953م في طهران. وهي تقدم موضوعات أدبية وعلمية واجتماعية وثقافية عامة. ثم في السنة نفسها، مجلة "اليمامة" في الرياض، ومجلة "الرياض" في جدة⁴⁰. وفي عام 1955م صدرت مجلتان: الأولى "مجلة الإذاعة السعودية" وهي شهرية ولا تزال مستمرة في صدورها. والثانية "مجلة الإشعاع" لسعد البواردي، لكن هذه المجلة أوقفت في عام 1956م. وكانت "الإشعاع" تعنى بالأدب الحديث خاصة، والأمور الاجتماعية أكثر من عنايتها بالأخبار والسياسة"⁴¹.

وفي السنوات المقبلة صدرت مجلات أخرى منها "الأضواء" بجدة عام 1957م، ومجلة "الخليج العربي" بالأحساء. ومجلة "الرائد" في عام 1959م بجدة، وكان صدورها مرتين في الشهر ثم أصبحت هذه المجلة أسبوعية، واهتمت اهتماما خاصا بالأدب والثقافة، وكذلك صدرت مجلة "قريش" في عام 1959م، ومجلة "الندوة" الشهرية بمكة المكرمة في عام 1961م.

وهناك مجلات أخرى برزت في أفق الصحافة السعودية وساهمت في تطوير الثقافة والأدب والعلوم، ولكن معظم هذه المجالات توقفت عن الصدور بعد صدور نظام المؤسسات. ولكن هذه المجالات والصحف لعبت دورا حاسما في نشوء النهضة الأدبية والفكرية وازدهارها في المملكة العربية السعودية وخاصة في إثارة اهتمام القراءة والدارسين والناقدين لفن القصة القصيرة والرواية وتطورها على الأسس الفنية الحديثة.

ثانيا: التعليم:

⁴⁰ - النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص41.

⁴¹ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص119.

في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، لم تكن الحياة العلمية خلال العهد العثماني منتشرة في شبه الجزيرة العربية، بل كانت توجد الحياة العلمية ضعيفة ومحدودة الانتشار. وقد وجدت حلقات التدريس الخاصة في الحرمين الشريفين وجوامع المدن الكبيرة في أرجاء البلاد في شبه الجزيرة. وكانت الحياة العلمية مقصورة عليها، وكذلك الكتاتيب التي كانت منتشرة في كافة أرجاء البلاد من القرى والأرياف، كانت بمثابة النواة الأولى لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض دروس بسيطة في التفسير والحديث والحساب وغيرها، وكان يحصل على هذه العلوم الطلاب الصغار والكبار. "فالحجاز كانت تفوق غيرها من المناطق من حيث نشاط الحركة العلمية فيها، وذلك لوجود الحرمين الشريفين ملتقى العلماء المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية. وما يتبع هؤلاء العلماء من أثر علمي كبير، كما أن التعليم الحديث بمدارسه الحديثة قد بدأ في الحجاز في مطلع القرن الرابع عشر أي: في العهد العثماني"⁴².

علاوة من الحلقة العلمية في الحرمين الشريفين التي يقوم بها عدد من المشائخ في عهد الأتراك والهاشميين، يوجد عديد من الكتاتيب لتعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة والدين. "أسس الأتراك بعض المدارس الحديثة مثل: المدرسة الرشيدية في جدة ومكة والمدينة والطائف، ومدرسة باب الصفا، ومدرسة الاتحاد بمكة ولكن كافة التعليم فيها باللغة التركية حتى عند دراسة مواد اللغة العربية كالنحو والصرف"⁴³. هذه المدارس لم تجد إقبالا من الناس، لأن التعليم فيها كان باللغة التركية ولأن المواطنين قد شعروا بأن الأتراك يريدون القضاء على اللغة العربية وإحلال اللغة التركية محلها. ولهذا تفكر بعض المواطنين في إنشاء مدارس أهلية ذات صبغة عربية، وبعد انتهاء الحكم العثماني حاول الشريف حسين

⁴² - د. محمد بن عبدالله السلطان، التعليم في عهد الملك العزيز، ص19، طبع بمطابع الناشر العربي، الرياض، عام 1999م.

⁴³ - المصدر السابق، ص20.

أن يرفع مستوى التعليم في الحجاز، وألغى المدارس التركية بعد ثورته عام 1916م، وأسس مدارس تعليمية أخرى. منها: المدرسة الخيرية والمدرسة الحربية، ولكن الوضع العلمي لم يكن قويا فيها⁴⁴.

وفي سنة 1874م حرّصت سيدة هندية "صولت النساء" على إنشاء مدرسة، وقد نجحت في هذا المهمة وأنشأت "المدرسة الصولتية" بمكة المكرمة. وأشرف عليها الشيخ محمد رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي. كان منهاج الدراسة فيها تدريس القرآن والعربية والتجويد والحساب والهندسة والعلوم الدينية المختلفة. توجه الطلبة إليها للحصول على العلوم المختلفة وتخرج منها الأشخاص الذين نالوا أسمى المناصب الدينية والقضائية وكانوا يلقون الدرس في المسجد الحرام كعبدالله الغمري وسليمان مراد وأسعد دهان وغيرهم، وكذلك أصبح كثير منهم القضاة الذين كانوا يقضون بين الناس. ومن العلماء الذين يدرسون في "الصولتية" الشيخ عبدالحق قاري الذي أنشأ "المدرسة الفخرية" في سنة 1878م، وساعده على إقامتها واستمرارها في المستقبل بعض أثرياء الهند من المسلمين. ثم تفكر الحاج محمد علي زينل في إقامة مدرسة في نجد ونجح في هدفه وأسس "مدرسة الفلاح"، وحمل محمد علي وحده على كتفه مسئولية الإنفاق على المدرسة⁴⁵.

أما المدارس الأهلية الخيرية التي تم تأسيسها في المدينة المنورة فهي: "المدرسة الحلبية" و"المدرسة الإحسانية" و"مدرسة الحديث" ومدرسة "النجاح" وغيرها. كما أسس الشيخ أحمد بن حبيب الله الفيض آبادي الذي له مكان بارز بين العلماء البارزين من الهند، "مدرسة العلوم الشرعية" عام 1921م، لتعاليم المختلفة مثل التفسير والحديث والفقه والهندسة والحساب وعلوم الدين المختلفة. وكانت هذه المدارس الأهلية الحجازية: لصولتية والفخرية والفلاح ومدرسة العلوم الشرعية وغيرها تعمل بإخلاص

⁴⁴- د. محمد عبدالرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة...آخر العهد العثماني، ص103، دارالعلوم، الرياض، الطبعة الأولى، عام 1982م.

⁴⁵- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص147.

لإحياء اللغة العربية والعلوم الدينية. وأسهمت بتخريج طائفة من العلماء والأدباء الذين شاركوا في الحياة الأدبية والصحافية في بداية النهضة في البلاد. وكان خريجو هذه المدارس المادة الرئيسية التي اعتمدت عليها المملكة العربية السعودية في نهضتها، ولعبوا دوراً رتاديا في تطوير النهضة الفرية والأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية⁴⁶.

أدرك الملك عبد العزيز أهمية العلم ودوره البناء في نهضة البلاد وتنميتها بعد استقرار الحكم السعودي في الحجاز. فلذا اهتم الملك بالتشجيع على طلب العلم والحث عليه، ودعم في سبيل ذلك بما كان لديه من الأموال والوسائل الأخرى. ودعم المدارس الموجودة في ذلك الوقت سواء كانت حكومية أو غير حكومية. وشجع على تعلم اللغات الأجنبية لأنها كانت وسيلة من الوسائل للاستفادة من الحضارة الحديثة النافعة ووسيلة إلى إضعاف أخلاق الشباب⁴⁷. وفي عام 1926م أنشأ الملك عبد العزيز "مديرية المعارف" لتتولى الإشراف على التعليم ووضع السياسة المحكمة للتعليم في المدارس والمعاهد، وتولى إدارة مديرية المعارف في هذه الفترة مجموعة من رواد التربية والتعليم، ولكن بسبب خلو المدارس الابتدائية من المعلمين والمؤهلين فيها أسس مجلس المعارف في سنة 1927م، لمعالجة هذا الخلل والاهتمام بدراسة برامج التعليم ومناهجه وتعيين المدرسين وإخراجهم واختيار الكتب الدراسية وغيرها⁴⁸.

وفي عام 1927م، تفكر الملك عبدالعزيز في إرسال البعثات إلى الخارج لتعلم أنواع العلوم والفنون، لأنه قد شعر بالحاجة إلى مختصين في علوم لايتوفر تدريسها داخل البلاد في ذلك الوقت. وأمر بإرسال 14 طالبا إلى مصر لدراسة مجالات التعليم المختلفة، لكي يعمل هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم في

⁴⁶ - النزعة الإجتماعية في الرواية السعودية ، ص31.

⁴⁷ - التعليم في عهد الملك عبد العزيز، ص122، 126.

⁴⁸ - بصيرة إبراهيم الداود ، تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، ص27، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، عام1429هـ.

المجال الذي تحدده لهم الحكومة⁴⁹. "كما أنشأت مدرسة "تحضير البعثات" بمكة، كانت غاية منها إعداد أفواج الشباب علميا وفنيا، ليكونوا مؤهلين للالتحاق بمختلف الكليات في جامعات مصر، وبيروت وغيرها، وهؤلاء المبعوثون حلوا رجوعهم محل الأجانب، وتسلموا أكبر المناصب في الدولة"⁵⁰. وكانت مهمة إرسال البعثات إلى الخارج مستمرة، ووصل عدد المبتعثين السعوديين في سنة 1950م إلى 192 طالبا في تخصصات مختلفة من الشريعة وأصول الدين واللغة والطب والزراعة والتجارة وغيرها⁵¹. ولم يتوقف التعليم في عهد الملك بل استمر في سبيله إلى ازدهار والتطور، وفتحت الكليات والجامعات. من هذه الجامعات "كلية الشريعة" في مكة المكرمة (1949م)، و "كلية المعلمين" (1952م). والدراسة في تلك الكليات كانت مجانية.

وكانت إحدى النقالات الحاسمة في تاريخ تطور النهضة التعليمية في البلاد عندما حولت مديرية المعارف إلى وزارة للمعارف عام 1953. وكان ذلك قبيل وفاة الملك عبد العزيز، وعهد إلى الأمير فهد بن عبد العزيز بوزارة المعارف، بذلك فتحت صفحة جديدة في تاريخ المسيرة التعليمية في البلاد⁵².

ولايفتوتي هنا الحديث عن المملكة العربية السعودية التي اهتمت بمكافحة الأمية وتعليم الكبار الذين فاتهم أن يتعلموا في صغرهم ولهذا الغرض أقام جماعة من المعلمين حلقات في المساجد أو في بيت المعلم، وكان يتعلم به مجموعة من الكبار والصغار أساسيات القراءة والكتابة. وكذلك أوجدت مدارس عديدة. منها: مدرسة النجاح الليلية بمكة في سنة 1350هـ لإتاحة الفرصة للمحرومين من التعليم. كما افتتحت مديرية المعارف العمومية عام 1335هـ للموظفين الراغبين للحصول على التعليم، وفي عام 1356هـ أسست مدرسة لتعليم اللغة الانجليزية، ومدرسة لتحسين الخطوط والآلة الكاتبة في عام

⁴⁹- النزعة الإجتماعية في الرواية السعودية ، ص32.

⁵⁰- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص157.

⁵¹- النزعة الإجتماعية في الرواية السعودية ، ص33.

⁵²- تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز ، ص31،32.

1368هـ . وفي سنة 1374هـ انشأت إدارة خاصة بتعليم الكبار ومحو الأمية وهي "وزارة المعارف" إدارة الثقافة الشعبية، و تغير اسمها مرات عديدة وأخيرا أصبح اسمها الأمانة العامة⁵³.

وإذا نظرنا إلى العوامل التي ساعدت على انتشار التعليم وتطوره فنجد عوامل عديدة. من أهمها: قد أصبح التعليم مجانيا لكافة طبقات الشعب في كافة المراحل التعليمية، بما في ذلك الكتب الدراسية. كما أن هناك قد وزعت مكافآت مالية بين الطلبة للجامعات والكليات لكي يواصلوا دراستهم في المستقبل بدون مواجهة الأزمة المالية. وكذلك توفير وسائل المواصلات التي كانت وسيلة لنقل الطلاب والطالبات من بيوتهم إلى مدارسهم وبالعكس. أما المدارس فهي كانت منتشرة في كافة مدن المملكة⁵⁴. ولعبت هذه المدارس دورا حاسما في نشر التعليم في المملكة العربية السعودية.

ولا شك فيه أن التعليم للبنين قد انتشر في كافة أنحاء البلاد من المدن والقرى والهجر، وكان هذا التعليم مشتملا على المستويات المختلفة من الابتدائية والثانوية إلى الجامعات والتخصصات العلمية والفنية، ولكن مجال التعليم للبنات . خلال هذه السنوات . لم يكن واسعا جدا بل كانت ثمة الكتاتيب والمدارس الإبتدائية الخاصة التي تذهب إليها البنات لتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ بعض السور من القرآن المجيد، وبعض العلوم الدينية⁵⁵. والسبب في ذلك يعود إلى ثقافة دينية متشددة كانت سائدة في وسط الجزيرة، وكان الناس يقول لا ينبغي للمرأة أن تذهب إلى المدرسة للحصول على العلوم، لأن خروجها من البيت إلى المدرسة سيؤدي إلى مفاسد كبيرة في المجتمع.ولكن مع هذا الاعتراض حمل الملك سعود بن عبد العزيز في سنة 1959م المسئولية على فتح المدارس الحكومية للبنات في المملكة العربية السعودية تحت إشراف هيئة كبار العلماء. وأمر الملك عبدالعزيز بفتح عديد من المدارس

⁵³ - عبد الحميد بن عبدالمجيد بن عبدالحميد حكيم ، نظام التعليم وسياسته ، ص143،145، الطبعة الأولى ، عام 2012م.

⁵⁴ - ندى بنت صالح بن علي أبا الخيل ، حسن بن عبدالله آل الشيخ (1352،1407هـ)، حياته ونثره ، ص12.

⁵⁵ - النزعة الإجتماعية في الرواية السعودية ، ص34.

للبنات في المدن الرئيسية، وبعد ذلك أنشئت "الرئاسة العامة لمدارس البنات" والتي فتحت ست عشرة مدرسة ابتدائية للبنات في عام 1960م، وكان الحجاب ضروريا على الطالبات والمعلمات كلهن⁵⁶.

بعد إقامة المدارس الإبتدائية إزدادت المدارس المتوسطة وبالإضافة إلى المعاهد للمعلمات ودور التربية الاجتماعية، وبدأت البنات الحصول على العلوم المختلفة وبرعت فيها، بما فيها الدين والعربية والعلوم والصحة والتدبير المنزلي واللغة الانجليزية والرياضيات ورعاية الأمومة والطفولة والتمريض والعلوم الاجتماعية ودراسة المجتمع والأشغال اليدوية وغيرها⁵⁷. "اليوم تتبوأ المرأة مراكز قيادية الصناعية والتطاعات الاجتماعية الأخرى كما وصلت إلى أعلى الدرجات في تخصصات علمية وأكاديمية عديدة وتسهم بقدر وافر في البناء والإنجاز الحضاري ويستفيد المجتمع من هذه الطاقات النسائية العلمية المؤهلة"⁵⁸.

⁵⁶ - أحمد بن محمد العيسى ، إصلاح التعليم في السعودية ، ص26 ، دار الساقى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، عام 2009م.

⁵⁷ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص172.

⁵⁸ - النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص35.

الفصل الثالث

تطور الرواية العربية السعودية في القرن العشرين

إن الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية قد تأخرت من حيث الزمن عن الحركة الأدبية المعاصرة في البلاد العربية الأخرى بمصر وبلاد الشام وغيرها. وخلال الحكم السعودي وخاصة بعد أن أصبحت البلاد وحدة سياسية تحت مسمى "المملكة العربية السعودية" في سنة 1932م، بدأت الحركة الأدبية في جزيرة العرب تزدهر وتتطور لأن الحكومة جعلت تبذل قصارى جهودها في إرساء دعائم النهضة الأدبية والفكرية في البلاد وتطوير التعليم والصحافة والطباعة وغيرها⁵⁹. وبدأ الأدب يتطور وينتشر بإصدار الصحف والطباعة وانتشار التعليم وغيره في المملكة العربية السعودية.

الرواية تعد من الفنون الأدبية التي حصلت على شهرة واسعة على المستوى العالمي والعربي، حيث اتجهت الرواية في البداية إلى معالجة قضايا عديدة منها: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والفكرية، وغيرها، وهي تمس الواقع الاجتماعي مباشرة في أكثر الأحيان. وبمرور الزمن طال التجديد عناصر الرواية الفنية بكل أجزائها، من حدث، وشخصية، وزمان، ومكان، وبناء فني.

أما الرواية السعودية، فثمة مساهمة بعض الروائيين السعوديين في بداية النهضة الأدبية الحديثة، التي عمت أرجاء من بعض البلدان العربية، في كتابة العديد من التجارب الروائية في محاولة للتعبير عن الواقع ومعالجة الكثير من الظواهر الاجتماعية، ومحاربة البدع وما هو جديد، فتوجهوا إلى

⁵⁹ - حفظ الرحمن الإصلاحي ، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص55.

كتابة الرواية ومحاولة إتقان صناعتها، حيث بدأت بظهور رواية "التوأمان" لعبد القدوس الأنصاري في سنة 1930م.

نشأ فن الرواية في المملكة العربية السعودية متأخراً، حين نظر إلى تحديد التاريخ لبداية الرواية السعودية، فثمة الإتفاق على تحديد بدايتها بين العلماء والنقاد من المملكة العربية السعودية وخارجها إن تاريخ هذه النشأة يعود إلى سنة 1930م، وهو العام الذي صدرت فيه رواية "التوأمان" لعبد القدوس الأنصاري. كما يقول منصور إبراهيم الحازمي:

"ويبدو أن اهتمام الأنصاري بالقصة لم يكن اهتماماً طارئاً أو مرتبطاً بمهنة الصحفية. فقد نشر في عام 1930م . وقبل تأسيسه لمجلة "المنهل" بحوالي سبع سنوات . قصة طويلة في شكل كتيب تحت عنوان "التوأمان" وكتب على غلافها هذه العبارة "أول رواية صدرت بالحجاز". وكان بوسع أن يضيف "وأول رواية صدرت بنجد وملحقاتها، كما كانت بلادنا تسمى قبل توحيدها في ذلك الوقت. وبغض النظر عن القيمة الفنية لرواية "التوأمان" فإنها تعتبر التجربة الأولى في هذا الميدان، وسيظل عام 1930م، هو العام الذي لا بد للباحث أن ينطلق منه في تتبعه التاريخي لفن الرواية في الأدب السعودي الحديث"⁶⁰.

وقد أضاف عليه الدكتور محمد عبدالرحمن الشامخ بهذا الصدد:

"في الحقيقة إن المحاولة الأولى في ميدان الفن القصصي الحديث لم تأت إلا في عام 1930م، وذلك حينما أصدر عبد القدوس الأنصاري روايته القصيرة "التوأمان"⁶¹.

⁶⁰- منصور إبراهيم الحازمي ، فن القصة في الأدب العربي السعودي الحديث ، ص31.

⁶¹- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ، ص148.

قد مرت الرواية السعودية للوصول إلى ما هي عليه الآن بعدة مراحل. وسبب ذلك يعود إلى التغيرات والتطورات التي حدثت في المجتمع العربي السعودي.

مرحلة النشأة والتأسيس: (1930-1954م):

حين ننظر إلى مرحلة بداية الرواية السعودية فنجد أن الرواية "التوأمان" لعبد القدوس هي محاولة أولى في مجال فن الرواية في المملكة العربية السعودية. ولدت هذه الرواية في عام 1930م. وهكذا بدأت مرحلة بداية الرواية السعودية، ولكن بعد كتابة هذه الرواية أو روايتين قد توقفت سلسلة كتابتها إلى فترة طويلة. وبعد خمس سنوات ظهرت روايات عديدة أخرى، مثل رواية "الانتقام الطبيعي" التي كتبها محمد نور عبدالله الجوهري في سنة 1935م، ثم صدرت رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، في عام 1947م، و "فكرة" لأحمد السباعي في عام 1948م. وأصدر محمد علي المغربي روايته "البعث" في سنة 1948م⁶².

هذه الروايات السعودية التي كتبت في المرحلة الابتدائية كانت قليلة في العدد، وغير ناضجة فنياً، والكتاب لم يحاولوا الكتابة من الناحية الفنية في انتاجاتهم، بل كانت غايتهم فيها الإصلاح للمجتمع وتربيته، كما كتبوا عن أهدافهم في أغلفة رواياتهم أو في مقدمات انتاجاتهم.

نحن نجد عدداً قليلاً من الروايات السعودية في مرحلة البداية والتأسيس. وسبب ذلك يعود إلى الكتاب السعوديين الذين لم يحاولوا في كتابة الروايات الكثيرة، بل توقفوا عن الإصدار بعد رواية أو روايتين. كما كتب الأنصاري رواية واحدة، وكذلك اكتفى محمد علي المغربي بواحدة، ولأحمد السباعي واحدة، ولم يكتب محمد زارع عقيل إلا رواية واحدة، وكذلك لمحمد عبد الله مليباري واحدة، ولحامد

⁶² - المستفاد من: مجلة "الجوبة"، المملكة العربية السعودية، ص 9، العدد 35، عام 2012م.

دمهوري إثنان، ولإبراهيم الناصر إثنان، وهكذا جرت سلسلة كتابة الرواية في السعودية ولم تجد فرصة للتطور والنضج في مراحلها الابتدائية، ومرت عديد من السنوات بدون أي إنتاج روائي فني في حدود البلاد. كما يقول الدكتور منصور الحازمي: "فليس بين "التوأمين" وبين رواية "ثمن التضحية" 1959م ما يستحق الوقوف عنده سوى روايتين ظهرتتا في عام واحد (1948م) هما: "البعث" للأستاذ محمد علي المغربي و"فكرة" للأستاذ أحمد السباعي. وبين "التوأمين" و"ثمن التضحية" ثلاثون عاما. وإن نحن نظرنا إلى الانتعاش من الناحية العددية فحسب وجدنا أن أكثر إنتاجنا في الرواية قد ظهر في أعقاب "ثمن التضحية" أو بعبارة أدق خلال الفترة ما بين 1960 و 1970م. ولعل من الا صوب أن نقول إن الأدب القصصي لم يعرف أية مرحلة تاريخية من مراحل الانتعاش في بلادنا على غرار تلك المراحل التي يمكن للمؤرخ أن يتحدث عنها بالنسبة للرواية الانجليزية في النصف الأول من القرن التاسع عشر أو القصة القصيرة في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر أو القصة القصيرة في مصر في العشرينات من هذا القرن"⁶³.

إن هذه الروايات التي كتبت في بداية أمرها لم تكن ناضجة فنيا بل حرصت على تقديم الملامح الاجتماعية. ومن تلك الأعمال الروائية المبتكرة في هذا المجال رواية "التوأمين" التي عالجت موضوع المعاهد الأجنبية، وأضرارها على الإنسان العربي وتحديد السعودية، من خلال بطليها: رشيد الذي كان متمسكا بأصالة العروبة، والعادات والتقاليد، عندما فضل الدراسة في السعودية على غيرها، وقد حقق نجاحات متتابة، وحياة كريمة وسعيدة، بينما نرى فريدا الذي أصر على متابعة دراسته في الغرب،

⁶³- فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص32.

وتفضيلها على الدراسة في السعودية، حيث أطلق زمام حريته وشهوته هناك، وكانت الخيبة والفشل
نهايته⁶⁴.

ورواية "البعث" لمحمد علي مغربي التي سجلت إخفاق التجربة السعودية، التي تمثلت في
الاحتكاك بعناصر حضارية غربية عن المجتمع تجسدت في شخصية أحد الشباب السعودية، الذي
ذهب للهند للعلاج ووقع في حب إحدى الفتيات الهنديات واتفقا على الزواج، ولكنهما لم ينجحا في
أمرهما بسبب الظروف التي منعت من الزواج، وفي هذه الرواية تسجيل لموقف الانتصار والأصالة
والانتماء لموطنه والعدول عن الفكرة تماما، وظهرت رواية "فكرة" لأحمد السباعي، التي عالجت الخروج
على مواصفات المجتمع وتقاليد، من خلال شخصية الفتاة "فكرة" التي تمثل الفتاة السعودية
الطموحة، حيث خرجت ورفضت العادات والتقاليد التي تراها مقيدة بكل قوانينها وخاصة للفتاة
السعودية، إلى أنها ما لبثت أن تنتصر وتعود إلى أصلتها، وطرح التقاليد العصرية الجديدة الداخلة،
ومحاولة معالجة المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع، من خلال اعتبارها فردا مساهما في
ذلك⁶⁵.

وفي الخمسينيات الميلادية في القرن العشرين صدرت عدة من الأعمال الأخرى، سميت بعضها
بالرواية وبعضها بالقصة الطويلة. ولعل السبب لذلك يعود إلى المرحلة الأولى التي لم يكن فيها مفهوم
الرواية الفنية ومقاييسها واضحا عند العديد من الكتاب. من هذه الأعمال: "مفاتيح الصحراء" في سنة
1955م، و "أصداء نغم" و "شبهات آثمة" هذه الأعمال كلها من أعمال شكيب الأموي، و "سمراء
الحجازية" لعبد السلام حافظ هاشم في سنة 1955م، ورواية "إلى غرناطة" لهاشم محمد دفتردار في عام

⁶⁴ - محمد صالح الشنطي ، فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، ص63.

⁶⁵ - المصدر السابق ، ص63.

1955م، وما إلى ذلك هناك أعمال أخرى صدرت في تلك المرحلة⁶⁶. "هذه المحاولات الأولى لم تكن ترجمة من الأدب الغربي، ولم تكن تعريباً كما كان شأن القصص الأولى في البلاد العربية الأخرى، إنما كانت عربية البدار والأرومة، نسغها ونسيجها مستمدان من الشمس العربية والأرض السعودية ذاتها. فالقصاصون مسلمون جميعاً، لم يخرجوا من حدود بلدهم إلا لزيارة، أو نزهة، أو عمل سريع، ومعظمهم . إن لم نقل كلهم . لا يتقنون لغة أجنبية واحدة. وكانت غاية القصة عندهم الوعظ الاجتماعي. وكثيراً ما كانوا يرمون إلى إثارة الدهشة والعجب، أو إلى التنديد بعادات ضارة، وتقاليد بالية. ولم تكن "القصة" شحنة فنية، ولا قطعة من الحياة، ولا انتاجاً "بديعياً"⁶⁷.

مرحلة النضج الفني (1959-1979م):

يقول الدكتور بكرى شيخ أمين عن بداية هذه المرحلة: "هذه المرحلة الثانية فقد بدأت في أعقاب الحرب العالمية، وفي مطلع النصف الثاني من القرن العشرين. وبالتحديد حين عاد الشباب السعودي الموفدون لاستكمال دراساتهم العليا في الخارج إلى بلادهم مزودين بالثقافات المختلفة، والكثير منهم قد أتقن لغة أجنبية، أو أكثر. وفي الوقت نفسه، إزدحمت آلاء الحضارة في المملكة، وتوطد الاستقرار، وأخذت القصة مكانها اللائق"⁶⁸.

أول رواية كتبت في هذه المرحلة هي رواية "ثمن التضحية" للأستاذ حامد دمنهوري في عام 1959م. تعتبر هذه الرواية أول رواية فنية في المملكة العربية السعودية. "أخذت الرواية مكة المكرمة والقاهرة مسرحاً رئيساً لأحداثها في فترة ما بين الحربين العالميتين ورصدت التطورات الثقافية

⁶⁶ - النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص 68.

⁶⁷ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص 464، 463.

⁶⁸ - المصدر السابق ، ص 474.

والاجتماعية والمعيشية التي طرأت في البيئة الحجازية. كما جاءت في الرواية مواقف عديدة تتجلى من خلالها أهمية تعليم البنات، النصف الآخر للمجتمع و دورهن في تكوين أسرة صالحة مثقفة وفي تنمية البلاد⁶⁹.

ثم أصدر الكاتب نفسه روايته الثانية "ومرت الأيام" في سنة 1963م، وعالجت هذه الرواية الملامح الاجتماعية في مكة وجدة، ولكنها كانت أقل في المستوى الفني من روايته الأولى "ثمن التضحية".

وظهرت في عام 1961م، رواية فنية ثانية لإبراهيم الناصر الحميدان "ثقب في رداء الليل" ولم تكن هذه الرواية تقل في قيمتها الفنية من رواية الأستاذ حامد دمنهوري، من حيث كانت تلتصق بالواقع المعاش وتصور البيئة و تزكي التوتر والصراع، وكذلك توجد فيها القضايا المتعلقة بالمجتمع السعودي وخاصة بالطبقة المتوسطة، في مرحلة التحول الاجتماعي والاقتصادي.

ولم يتوقف إبراهيم الناصر عن الكتابة، وأصدر روايته الثانية "سفينة الموتى" في سنة 1979م، ثم طبعت هذه الرواية مرة ثانية بعنوان "سفينة الضياع". "يكون بطل الرواية موظفاً في أحد المستشفيات الحكومية، و يطرح الكاتب من خلال الراوي، البطل، هموم المجتمع المدني وإشكالاته الجديدة، وخاصة في قطاع الموظفين"⁷⁰. وكذلك تعالج هذه الرواية قضية مشكلة الزواج للفتاة من الشيخ وما تعاني منه من آلام نفسية وحسية، ثم صدرت للكاتب روايته الثالثة "عذراء المنفى" في سنة 1977م. يحتل موضوع المرأة ونظرة الرجل الشرقي لعلاقته بها، الاهتمام المركزي في الرواية. وبعد هذه الروايات لإبراهيم الناصر ظهرت روايته الرابعة، وهي "غيوم الخريف". فتعالج الرواية أزمة العلاقة بالغرب والارتباط بمفردات الحضارة العصرية، وذلك من خلال شخصية بطل الرواية "محيسن" الذي

⁶⁹ - حفظ الرحمن الإصلاحي ، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص 70.

⁷⁰ - نزيه أبو نضال ، التحولات في الرواية العربية ، ص106 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، عام 2006م.

ينتقل بين العواصم الأوروبية بذريعة العمل فيعقد صفقات خاسرة ويخسر أكبر منها على موائد اللهو والقمار.⁷¹

قرب نهاية المرحلة الثانية في عام 1979م، صدرت الرواية "لا ظل تحت الجيل" لفؤاد عبد الحميد عنقاوي، التي سارت على مسار الأصول التقليدية لفن الرواية، وتصور الرواية المرأة الشريرة متمثلة في شخصية "زكية" زوجة الأب "أحمد ياسين" وتنتهي فيما بعد مكائد عبيدة لابني زوجها سعد وخالد.⁷²

وفي هذه المرحلة الغنية صدرت روايات ذات الاتجاه التاريخي والسياسي والعاطفي. فأصدرت محمد زارع عقيل رواية "أمير الحب" في سنة 1965م، تعتبر أول رواية تاريخية في الأدب السعودي. وفي سنة 1977م، ظهرت رواية غالب حمزة أبو الفرج "الشياطين الحمر" وسعى الكاتب أن يقدم فيها القضايا السياسية. وبعد سنتين لصدور هذه الرواية، أصدر عبده يماني روايته "مشرد بلا خطيئة". وهي تعد أول رواية سعودية عالجت معاناة الشعب الفلسطيني كقضية رئيسية. وكذلك صدر في هذه المرحلة العديد من روايات عبدالرحمن منيف ذات اتجاهات تاريخية وسياسية وعاطفية.⁷³

أما المرأة فقد ظهرت أيضا في مجال فن الرواية وقد اشتهرت بذلك كثيرات، منها سميرة بنت الجزيرة التي أصدرت ثمانية أعمال روائية، وهي: "ودعت آمالي" و"ذكريات دامعة" و"بريق عينيك" و"وراء الضباب" و"وادي الدموع" و"تمضي الأيام" و"مأتم الورود" و"قطرات من الدموع". ويوجد في هذه الأعمال كلها اللون الرومانسي العاطفي، وتدور أحداثها في البيئة الأجنبية إلا الرواية "قطرات من الدموع". وكانت أعمال هذه الكاتبة كلها خالية من مستوى النضج الفني كما كان هذا النضج الفني

⁷¹- المصدر السابق نفسه ، ص106.

⁷²- د. محمد بن عبدالله العوين ، كتابات نسائية متمردة ، ص56 ، الطبعة الأولى ، 2009.

⁷³- النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص73.

موجودا في روايات إبراهيم الناصرو دمنهوري وفؤاد عنقاوي. "ففي روايات سميرة بنت الجزيرة بحث عن نموذج المرأة في صورة نساء من خارج البيئة ، وربما يكون ذلك طموحا من الكاتبة إلى إيجاد المرأة التي تريد؛ لأنها لم ترسمات المرأة المثقفة العاملة المنفتحة على الحياة الجديدة كما صورتها في رواياتها"⁷⁴.

وبعد ذلك ظهرت رواية هدى عبد المحسن صالح الرشيد "غدا سيكون الخميس" في سنة 1976م. والقت فيها الكاتبة التي لها دور كبير في الكتابة الإبداعية والأنشطة الثقافية، الضوء على المرأة السعودية المثقفة والتي تعلم حقوق المرأة وحرمتها وتؤيدها. وهي أول رواية سعودية قائمة على أسس فنية حديثة بعد الأستاذ حامد الدمنهوري وإبراهيم الناصر.

وفي نهاية هذه المرحلة للنضج الفني، أصدرت عائشة زاهر أحمد روايتها "بسمة من بحيرات الدموع" (1979م). وكانت متواضعة من الناحية الفنية ولكن ما وصلت إلى مستوى النضج الذي حصلت عليه رواية "غدا سيكون الخميس" لهدى عبدالمحسن صالح الرشيد من قبل سنوات عديدة⁷⁵.

وقد امتازت هذه المرحلة الثانية لمسيرة الرواية السعودية التي ظلت عشرين عاما، وازدادت فيها الانتاجات الروائية مقارنة بالمرحلة الأولى. وحققت الرواية في هذه الحقبة تطورا فنيا ملحوظا عن ذي قبل، وعلى الخصوص في أعمال حامد دمنهوري وإبراهيم الناصرو فؤاد عنقاوي. وصدرت في هذه المرحلة الثانية الغنية روايات في اتجاهات سياسية واجتماعية وتاريخية وعاطفية مع روايات المغامرات والتسلية. وكذلك شاركت فيها المرأة في الكتابة الروائية مثل سميرة بنت الجزيرة وغيرها من الكاتبات.

مرحلة التجديد والتحديث (1980م . 2000م):

⁷⁴ - كتابات نسائية متمردة ، ص 60.

⁷⁵ - الجزيرة ، جريدة سعودية يومية الصادرة عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر، الرياض ، يوم الخميس ، الخامس وعشرين من شهر اغسطس ، عام 2011م.

قد شهدت المملكة العربية السعودية في هذه المرحلة الطفرة الإقتصادية منذ السبعينات الميلادية، واستقرت بها الأوضاع السياسية وتغير الوضع المعيشي للمجتمع والفرد وتحسن عن ذي قبل في كافة أرجاء البلاد ، كما يقول د. عبدالله الغدامي: "دخلت الطفرة في حياتنا لتكون أكبر متغير اجتماعي ومادي يحدث منذ زمن قيام الوحدة الوطنية، و إذا كانت الوحدة قد صنعت وطننا وأسست لمجتمع مدني أو شبه مدني، فإن الطفرة قد أعادت صياغة هذا المجتمع، وأول علامات هذه الصياغة هو انفتاح المجتمع السعودي على العالم الخارجي انفتاحا غير مقيد"⁷⁶. نشطت الحركة الأدبية والثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية مع هذا الانفتاح الذي كان على العالم الخارجي وعلى الثقافات الأجنبية ، وقد كانت هناك عوامل شتى ازدادت بها الحركة والأدبية والثقافية والفكرية في المملكة. كما أشار إليها د. بكري شيخ أمين:

"منها استقرار الأوضاع السياسية في الداخل، واضطرابها في عدد من البلاد المجاورة و لاسيما فلسطين، وتطور الحياة الاقتصادية إلى انتعاش، وظهور طبقة جديدة من الأثرياء، ما كان لها وجود قبل الحرب، وانفتاح البلاد على التيارات الفكرية الأجنبية و لاسيما العربية والغربية، وذيوع التعليم وانتشاره وابتعاث البعث ثم تغلغه في الطبقات الشعبية ونشوب الصراع العقلي بين واقع يجثم كالكابوس"⁷⁷.

هذه العوامل العديدة وغيرها كانت من الأسباب المهمة التي لعبت دورا حاسما في تنشيط الحركة الروائية في المملكة العربية السعودية وتطويرها إلى أعلى المستويات المطلوبة مع أساليبها المتنوعة واتجاهاتها وقضاياها. وصدرت في هذه المرحلة أكثر من مائة وثلاثين رواية للكاتب، وللكاتبة ثمان وثلاثون

⁷⁶ - عبدالله محمد الغدامي ، حكاية الحدائة في المملكة العربية السعودية ، ص158 ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثالثة ، عام 2005م.

⁷⁷ - الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص491.490.

رواية ، حتى أصبحت الأعمال الروائية لهذه المرحلة أكثر من المرحلتين السابقتين الممتدتين إلى خمسين عاما.

وكما يقول بعض الأدباء أن هذه المرحلة مرحلة الانطلاق، وقد انطلقت هذه المرحلة مع بداية الثمانينيات، وما يلاحظ عليها تسارع إيقاع الإنتاج الروائي، وزيادة تراكمه على عكس المرحلتين السالفتين⁷⁸.

وظهر في هذا الحقبه عدد كبير من كتاب الرواية الجدد الذين كتبوا في فن الرواية مع الالتزام بالأصول لهذا الفن، كما يقول د. محمد بن عبدالله العوين: "وظهر من كتاب هذه المرحلة من يميل إلى الالتزام بأصول هذا الفن دون تطرف في السعي إلى التجديد"⁷⁹. وظهرت رواية إبراهيم الناصر "غيوم الخريف" (1988م)، ثم روايته أخرى "رعشة الظل" (1994م)، وصدرت روايتان لمحمد زارع عقيل وهما "ليلة في الظلام" (1980م)، و"بين جيلين" (1981م)، وأصدر غالب حمزة أبو الفرج اثني عشر عملاً روائياً مختلفاً بين الروايات السياسية والتسلية والمغامرات، كما صدرت لعبدالرحمن منيف أعمال سردية عديدة في اتجاهات مختلفة، وظهرت لعبد يماني رواية اجتماعية تعليمية "فتاة من حائل" (1980م)، ثم ظهرت روايات عديدة منها "تراب دماء" (1984م) لفؤاد عنقاوي و"ليلة عرس نادية" (1990م) لعبدالله سعيد جمعان، وست روايات لعبدالعزیز مشري وهي: "الوسمية" (1985م)، و"الغيوم ومنابت الشجر" (1989م)، و"الحصون" (1992م)، و"ريح الكادي" (1993م)، و"في عشق حتى!!" (1996م)، و"صالح" (1997م). ويعد عبدالعزیز مشري من أول كاتب سعودي جعل قرى المملكة العربية السعودية موضوعاً لمعظم أعماله السردية. وذكر فيها قضايا ومشكلات سكان القرى وعاداتهم وتقاليدهم. كما يقول د.

⁷⁸- شباب مصر ، جريدة يومية تصدر عن حزب شباب مصر ، يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر يوليو، عام 2015م.

⁷⁹- كتابات نسائية متمردة ، ص54.

محمد بن عبدالله العوين عن عبدالعزيز مشري: "والكاتب يعتمد الرصد والتصوير لدقائق هذه الحياة، وقد يتناسى الخيط الدرامي في الرواية مندفعاً إلى هذه الرغبة الوصفية الفوتوغرافية البالغة"⁸⁰.

وبالإضافة إلى هذه الروايات للكتاب، صدرت للكاتب روايات منها "رباط الولاية" وهذه رواية ثنائية لهند باغفار في سنة 1987م، وقدمت هدى الرشيد روايتها الثانية "العبث" في سنة 1980م. تناولت الكاتبة فيها مشكلات عصرها وجيلها، وعالجت مشكلة المرأة في علاقتها بالرجل المنظور النسائي الخاص، مع تسليط الضوء على قضية تعدد الزوجات في المجتمع السعودي وتفضيل الرجل الزوجة المثقفة الواعية على الزوجة التقليدية المختلفة ثقافياً"⁸¹.

وكذلك هناك عديد من الروائيين في هذه المرحلة للتجديد الذين كتبوا روايات كثيرة منهم عبدالله الجعفري، وعصام خوقير، وعبدالكريم محمد الخطيب، وطاهر عوض، وفي هذه الفترة ظهر من بين هؤلاء الروائيين شاعر شهير وروائي كبير وهو غازي عبدالرحمن القصيبي، كما يقول سعد بن محارب المحارب: "فهو مسئول كبير، وشاعر شهير، ومثقف واسع الشعبية، وإصداره لرواية أدبية كان حدثاً جاذباً للجمهور العام"⁸².

أصدر غازي القصيبي في هذه الحقبة من الزمن أربع روايات وهي: "شقة الحرية" و"العصفورية" و"سبعة" و"دنسكو". وتعد روايته "شقة الحرية" واحدة من أجمل الروايات السعودية العالمية. كما يقول د. مكي محمد سرحان: "كانت روايته "شقة الحرية" تعد من أكثر أعماله الروائية شهرة، حتى نجحت بوضوح وقوة هائلين في توصيل رسالتها الخاصة بقضايا طلابية، ومواقف مبدئية مباشرة من هناك، يسقطها الدكتور غازي، على نكهة إبداعية من هنا.. بمعنى آخر انطباع مشبع بمناخ مصري يعمل بإبداع

⁸⁰ - المصدر السابق ، ص62.

⁸¹ - حفظ الرحمن الإصلاحي ، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية ، ص84.

⁸² - سعد بن محارب المحارب ، الرواية الجماهيرية: قراءة نقدية في مرحلة ذبوع الرواية السعودية ، ص33 ، الطبعة الأولى ، عام 2011م.

بحريني التعبير.. فكأنما الكلمات في الرواية تستعير النكهة المصرية صورة.. وتجعل من النكهة البحرينية إطاراً⁸³. وهذه من الروايات التي لم يسمح تداولها داخل المملكة العربية السعودية إلا مؤخرًا.

صدرت ثلاثية تركي الحمد "أطياف الأزقة المهجورة" في عامي 1997م، 1998م، وهي تتكون من روايات "العدامة" و "الشميسي" و "الكراديب" ، ويمكن تصنيف ثلاثية تركي الحمد "أطياف الأزقة المهجورة" على أنها من أبرز الروايات السعودية جرأة وصراحة في كشف المسكوت عنه وفضح عيوب المجتمع وخباياه⁸⁴. ويقول سعد بن محارب: "جمع تركي الحمد في هذه الرواية بين الطرح الفكري القلق، والنفوذ الإنساني العميق، والنكهة المحلية. بما جعل الرواية أكثر انتماء للواقع، وإثارة للاهتمام قبولاً للتداول الجماهيري"⁸⁵.

وقد صدرت في هذه المرحلة الغنية كثير من الروايات في المملكة العربية السعودية وسيكون من الشاق علينا حصر كل الروايات التي تم إصدارها فيها. ولكن أشير إلى روايات أصدرتها نساء سعودية، وأسهمت بقدر وافر في تطور الانتاجات الروائية السعودية. ومن أبرز الأسماء التي نالت سمعة في مجال فن الرواية، رجاء عالم⁸⁶ التي أصدرت خمسة أعمال سردية. وهي: "أربعة صفر" (1987) و "طريق الحرير" و "مسرى يا رقيب" و "سيدي وحدانة" و "حي" ، وقدمت بهية بوسبيت أربعة أعمال اجتماعية وتعليمية وهي: "حكاية عفاف والدكتور صالح" و "سرفي أعماقي" و "امرأة على فوهة بركان" و "درة من الأحساء" وظهرت خمس روايات لصفية عنبر، وهي: "عفوا يا آدم" و "افتقدتك يوم أحبتك" و "وهج بين رماد السنين" و "جمعتنا الصدفة وفرقتنا التقاليد" و "أنت حبيبي" وأصدرت قماشة العليان أربع روايات

⁸³ - د. غازي القصيبي ، الدكتور مكي محمد سرحان ، ص54 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، 1998م.

⁸⁴ - النزعة الاجتماعية . ص88.

⁸⁵ - الرواية الجماهيرية ، ص34،35.

⁸⁶ - وهي روائية سعودية معروفة، وفازت روايته "طوق الحمام" بالجائزة العالمية للرواية العربية (جائزة بوكر) في دورتها الرابعة 2011م. (انظر إلى مجلة "الجوبة". المملكة العربية السعودية، ص93، العدد: 32، عام 2011م.

اجتماعية وهي: "عيون على السماء" و "أنثى العنكبوت" و "بيت من زجاج" و "بكاء تحت المطر". ومن أبرز الروايات التي صدرت في هذه المرحلة ثلاث روايات لأمل محمد شطا، وهي: "غدا أنسى" في عام 1980م، و "لاعاش قلبي" في سنة 1989م، و "آدم يا سيدي" في عام 1997م⁸⁷. ويقول د. محمد بن عبدالله العوين عن روايتي "غدا أنسى" و "لاعاش قلبي" معلقا عليهما:

"إن رواية "غدا أنسى" تتحدث عن مأساة إنسانية، بطلها الرجل المضطهد، وضحيتهما الزوجة المسكينة "تيما". وفي رواية "لاعاش قلبي" تقدم فيها أمل شطا نماذج من النساء اللاتي يعشن في الرباط، رهن حياة تفاوت طبقي، وصراع اجتماعي، وضعف في المشاعر الإنسانية، وفهم المضطهد من زوجها، والتواقة للحب، والغيورة التي تحاول القتل انتقاما، والمتدينة، غيرهن"⁸⁸.

وأصدرت سلوى دمنهوري روايتي "صراع عقلي وعاطفي" في عام 1990م، و "اللعة" في سنة 1994م. وظهرت فاطمة بنت السراط بثلاثة روايات وهي: "ستة أقدام صغيرة" و "الرجاء التزام الوقار" و "صالح النجدي وزهراء الجنوبية"، أصدرت نداء أبو علي روايتي "للقلب وجوه أخري" و "مرت الأيام" في عام 1998م. وكذلك هناك الكاتبات اللاتي كتبن رواية واحدة خلال الفترة ولم يكتبن بعد ذلك إلا في الفترة اللاحقة ومنهن زينب الحفني ومهرة العصيمي ونورة المحيميد وغيرهن. كما قدمت ليلى الجهني روايتها الأولى "الفردوس اليباب". وفي الرواية "الفردوس اليباب" توجد قضية حب بين شاب لعوب وفتاة مثقفة، وتدور أحداثها في مدينة جدة وتبني على حكاية عادية ممكن وقوعها في أي مجتمع أو مكان على وجه الأرض، وأعمال ليلى الجهني الروائية نالت كثيرا من الاهتمام والتناول والنقد⁸⁹.

⁸⁷ - النزعة الاجتماعية ، ص92،91.

⁸⁸ - كتابات نسائية متمردة ، ص57.

⁸⁹ - النزعة الاجتماعية ، ص93.

إن الكاتبات في هذه الحقبة أسهمن بقدر وافر في تطور الرواية السعودية ولعبن دورا حاسما في رفع قيمة الرواية الموضوعاتية والجمالياتية، وعالجن الكثير من القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمرأة السعودية. وأزدهرت الرواية النسائية في المملكة العربية السعودية ونالت إقبالا كبيرا من الأدباء والنقاد. وكذلك الروايات التي تم إصدارها في هذه الحقبة وخاصة في التسعينيات الميلادية شهدت تطورا ملحوظا من الناحية الفنية. وذهب عدد من الكتاب إلى آفاق التجديد والتجريب، كما يقول د. محمد بن عبدالله العوين: "الأسماء التي تكتب الرواية بروية تجديدية مغرقة في الرمز والضبابية وتداخل الأحداث والاستسلام لتيار الوعي، رجاء عالم وغازي القصبي"⁹⁰. وما عدا ذلك أحمد الدويحي وعبد خال و عبدالعزيز الصقعي وتركى الحمد وليلى الجهنى وغيرهم، وامتازت اعمالهم الروائية والأدبية بنقلة نوعية بنائية فنية.

⁹⁰ ، كتابات نسائية متمردة ، ص 64،65.

الباب الثاني

غازي عبدالرحمن القصيبي في ضوء أعماله

الفصل الأول: مولده ونشأته وحياته التعليمية

الفصل الثاني: حياته العملية

الفصل الثالث: أدبه ومؤلفاته

الفصل الأول

مولد غازي القصيبي ونشأته وحياته التعليمية

غازي القصيبي هو شاعر وأديب وسفير دبلوماسي و وزير سعودي، يعد شاعرا تقليديا وله محاولات في فن الرواية والقصة. كما أن له مؤلفات أخرى في التنمية والسياسة وغيرها⁹¹. وهو حديث العصر، ولكن لانجد المؤلفين والكتاب الذين تناولوا حياته بالبحث والدراسة، ولم يظهر بعد مؤلف خاص به وبانتاجاته إلى حيز الوجود لإلقاء الضوء الكافي على كل جوانب حياته وأعماله، فمعلوماتنا عن حياة صاحبنا في هذه الدراسة محدودة ومنحصرة فيما عشرينا عليه من خلال بعض مؤلفاته و من أهمها سيرته الذاتية "حياة في الإدارة" و"سيرة شعرية" وبعض الكتب الأخرى منها "حكاية اسمها غازي القصيبي" لكamal عبدالقادر و"قال لي القصيبي" لتركلي الدخيل. وفيما يلي أورد ما قد نجحت في الوصول إليه من معلومات عن حياته.

اسمه: غازي بن عبد الرحمن القصيبي المعروف بـ "غازي القصيبي" و الملقب بـ "أبو يارا"⁹².

مولده ونشأته:

غازي عبدالرحمن القصيبي ولد في اليوم الثاني من شهر مارس عام 1940م في منطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية في بيئة مليئة بالحزن والكآبة والوحشة. قبل أن يفتح العين في هذه الدنيا،

⁹¹- الشرق الأوسط ، صحيفة يومية الصادرة عن لندن باللغة العربية ، يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر اغسطس عام 2010م.

⁹²- محمد الصغراني ، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية ، ص12، الطبعة الأولى ، 2006.

قد توفي جده لوالدته، ثم حلت به مصيبة لأن والدته توفيت بعد تسعة شهور بعد ولادته. وترك موتها عمامة صغيرة من الحزن لاتزول عن أفق العائلة الصغيرة. وحملت جدته مسئولية رعايته على كتفها، وأغدقت عليه حنانها طوال خمسة وعشرين عاما. وإلى جانب ذلك كله، لم يكن له أقران أو أطفال من عمره يانس إليهم. ونشأ صاحبنا في هذه البيئة المليئة بالكآبة. وكان والده رجلا ذا قلب قاسي، ومهاجمه بأقسى الكلمات، وأم جدته للأم فكانت لينة القلب، وتعتني به بكل العناية، وكذا مضت السنوات الخمس الأولى من حياة غازي القصيبي في البيئة المليئة بالحزن والكآبة تحت رعاية أب حازم صارم وفي كنف جدة ذات قلب لين⁹³.

إن غازي القصيبي قد مر في حياته الإبتدائية بالأوضاع القاسية والظروف الصعبة كما يقول القصيبي: " ترعرعت أتأرجح بين قطبين رئيسين أولهما أبي، رحمه الله، وكان يتسم بالشدّة والصرامة (كان الخروج إلى الشارع محرما على سبيل المثال). وثانيهما جدي لأمي، رحمه الله، وكانت تتصف بالحنان المفرط والشفقة المتناهية على (الصغير اليتيم)"⁹⁴. "أدت كل تلك الظروف مجتمعة، فيما أتصور إلى طفولة حزينة، فالعقل الباطن يتصرف بشكل غريب جدا، فعندما تكون الذكرى مؤلمة أو مزعجة، يغلق الستار عليها، ولهذا لا أكاد أذكر أي شي عن الأحساء، علما بأنني تركتها تعد أن تجاوزت الخامسة من عمري"⁹⁵.

ولم يكن جو الكآبة والحالة السيئة مستمرا في حياته، ولم تستبد به العزلة طويلا، بل ساعدته المدرسة التي التحق بها، على أن يتحرر من جو الكآبة والبيئة السيئة الذي نشأ فيه في السنوات الخمس الأولى من الحياة. وذلك عندما بلغ صاحبنا الستة من عمره انتقل مع أسرته إلى البحرين. وفي السنة

⁹³ -مجلة "الجوية"، المملكة العربية السعودية، ص7، العدد 29، 2010، و"قال لي القصيبي" لثري الدخيل، ط3، 2012، ص33،34.

⁹⁴ -غازي القصيبي، حياة في الإدارة - ص12.

⁹⁵ -كمال عبد القادر، حكاية إسمها غازي القصيبي، ص20.

نفسها التحق بالمدرسة الإبتدائية في المنامة، ووجد هناك زملاء صاحبهم غازي القصيبي. كما يقول: "هناك أشخاص يستطيعون تذكر ما حدث لهم في سن الثانية أو الثالثة، أما بالنسبة لي فالذكريات تبدو واضحة بعد سن الخامسة مع انتقالني إلى البحرين، وربما لأنه حدثت لي في البحرين أحداث واضحة المعالم أكثر، وفي تلك الفترة دخلت المدرسة، وكانت هذه هي أول خطوة للخروج من العزلة أو الإنطوائية"⁹⁶. وتسبب سفره إلى البحرين عن خروجه من جو الكآبة والحالة السيئة. رأى فيها عديدا من الأشياء التي ما كانت موجودة في الإحساء، مثل الكهرباء، وكذلك رأى البحر والسفينة لأول مرة خلال سفره، وبدأ القصيبي في تلك الفترة يخرج إلى الشارع بعد أن أذن له والده، الذي لم يكن بإمكانه قبل السفر إلى البحرين.

طلبه للعلم:

بدأ غازي القصيبي دراسته الإبتدائية في المنامة بعد هجرة أسرته إلى البحرين، وأرسله والده إلى إحدى المدارس الإبتدائية الواقعة في البحرين. وظهرت رغبته في التحصيل الدراسي وحصل هناك على العلوم والثقافة المختلفة كما يقول د. مكي محمد سرحان: "درج الطفل في البحرين في ظل أبويه (والده وجدته)، وتطور في نموه بصوره رائعة، أحسا معها أنهما أمام طفل متميز...تلقى تعليمه الإبتدائي، حيث نما وترعرع، فأظهر الطالب استعدادا عظيما لتلقي مبادئ قواعد وأداب اللغة العربية، وأصول الدين والحساب وغير ذلك من أبواب العلم والثقافة والمعرفة، وأبدى غازي منذ حداثة استعدادا طيبا للقراءة والكتابة والإنشاء....الخ"⁹⁷.

⁹⁶ - المصدر السابق ، ص 22، 23.

⁹⁷ - دمكي محمد سرحان ، د.غازي القصيبي ، ص15 ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عام 1998م.

بقي غازي القصيبي ستة أعوام في تلك المدرسة الإبتدائية، وتعلم أساسيات اللغة العربية واللغة الإنجليزية، والعلوم الأخرى من الحساب والقواعد والإملاء وغيرها. ثم تخرج منها وحصل على الشهادة الإبتدائية عام 1952م، وبعد إكمال الدراسة الإبتدائية توجه مباشرة إلى المدرسة الثانوية التي كانت وحيدة الوجود حينئذ في البحرين. واجتهد القصيبي اجتهادا كثيرا وبذل قصارى جهده في إتقان اللغة العربية ونجح في هدفه. كما يبدو عما قال عن مدرس له للغة العربية في سنة من سنوات الدراسة الثانوية: "طلب من المدرس نفسه، أن أعد بحثا عن الشاعر زهير بن أبي سلمي. أعددت البحث المطلوب، وكم كانت دهشتي بالغة وأنا أرى المدرس يطبعه ويوزعه على الطلاب ويعتبره جزءا من المنهج، دون أي إشارة إلى إسم "المؤلف". أعتقد أنني كنت أول طالب في تاريخ المدرسة، وربما آخر طالب، يقوم بإعداد جزء من المنهج"⁹⁸. وأتم القصيبي دراسته الثانوية في البحرين، وخلال هذه الفترة، كان رائعا متفوقا، ومعروفا ببراعته وذكائه. وهذه الصفات الجيدة أدت دورا حاسما إلى فتح مرحلة جديدة من حياته للحصول على الدراسات العليا.

وقد بدأت رحلة القصيبي للدراسات العليا إلى مدينة القاهرة، ذهب إليها منفردا، لم يكن معه والده أو جدته، لأنه قد أصبح رجلا في عرف والده، وعليه أن يذهب إلى البلاد الأجنبية ويواجهه مصائب الأيام ومشاكلها بمفرده، مثل الشبان الآخرين.

بعد الوصول إلى القاهرة خطر بباله وأدرك أن الأمر ليس بسيطا بشكل من الأشكال. ووجد نفسه وحيدا في ازدحام الناس وتصور أنه غريب في القاهرة⁹⁹. كما يقول الدكتور غازي القصيبي معبرا عن تجربته في الدراسة في جامعة القاهرة: "كانت تجربة دراستي في القاهرة غنية بلا حدود، ولكن خيبة

⁹⁸ - حياة في الإدارة ، ص20.

⁹⁹ - د.غازي القصيبي ، ص23.

أملي في الجو الجامعي كانت خيبة كبرى. بعد الإبتدائية والثانوية في البحرين، حيث كان الجو أشبه ما يكون بجو الأسرة الواحدة، وجدت نفسي في محيط لا يختلف عن محيط المدن الكبرى حيث لا يعرف أحد أحدا، ولا يأبه أحد بأحد. كان المدرج يغص بأكثر من ألف طالب¹⁰⁰. "وأعتقد أن جيلنا كان جيل معاناة فكرية واسعة، وظروف القاهرة في تلك الأيام حيث كانت عاصمة الفكر العربي وعاصمة الثقافة العربية وعمالقة الأدب والفنون ومختلف المجالات، وقد عشت في الفترة التي كانت أكثر خصوبة، وهي منتصف الخمسينيات إلى بداية الستينيات، وأستطيع أن أقول إن هذه الفترة أثرت في حياة أبناء ذلك الجيل، فكريا، في العالم العربي"¹⁰¹. كان القصبي لا يعرف عن القاهرة إلا قليلا وذلك بمشاهدتها في الصحف والأفلام، وكذلك علم من أساتذته المصريين الذين كانوا يتحدثون عن القاهرة عندما كان في المدرسة الإبتدائية والثانوية.

بقي الدكتور غازي القصبي في القاهرة حتى حصل على شهادة التوجيهي من المدرسة السعيدية

في عام 1957م. ثم نال شهادة البكالوريوس في الحقوق في عام 1961م¹⁰².

كان القصبي، بعد انتهاء فترة الدراسة الجامعية في القاهرة، يريد أن يواصل دراسته العليا ويلتحق بالخدمة العامة، لكن والده وأخوه يريدان أن يعمل معهما في التجارة. ويقول الدكتور غازي القصبي عن حوار نادر حدث مع أبيه في هذا الصدد، قال أبوه: "لماذا لا تعمل معي و مع أخوتك في التجارة؟" قلت: "أعتقد أنني لا أصلح للتجارة". قال: "وماذا تنوي أن تفعل بعد الدراسة العليا؟". قلت: "أنوي الالتحاق بالخدمة" طرق يفك ر قليلا ثم سأل: "تنوي أن تعمل موظفا حكوميا؟". قلت: "نعم". قال:

¹⁰⁰ - حياة في الإدارة ، ص23.

¹⁰¹ - حكاية اسهما غازي القصبي ، ص41.

¹⁰² - المستفاد من: د. مكي محمد سرخان ، د. غازي القصبي ، ص24.

"هل تعرف المصير الذي ينتظر موظفي الحكومة؟". قلت: "لا". قال: "الفقر. أو السرقة!". قلت: "أرجو ألا أفتقر. ولا أنوي أن أسرق". قال "أنت وشأنك"¹⁰³.

في سنة 1961م وبعد الرجوع إلى المملكة العربية السعودية، كان القصيبي يريد مواصلة دراسته في الخارج، وكان لديه شهادة البكالوريوس في القانون، وكانت الشهادات الجامعية، خاصة شهادات القانون تحمل أهمية كبيرة في المملكة. جاءت له عروض الوظائف الحكومية. ومن أهمها عرض قدمه عبدالله الطريقي بأن يكون القصيبي مديرا عاما للإدارة القانونية في وزارة البترول والثروة المعدنية، إلا أنه أنكر هذه الوظيفة الحكومية لأنه كان له الرغبة في مواصلة الدراسة، أما أبوه فكان يريد أن يعمل في التجارة، لكنه اعتذر من والده، فنظرا إلى رغبته الشديدة في الحصول على الدراسة العليا، ساعد أبوه بتبديل أمر ابتعائه الحكومي إلى الخارج، حتى جاءت الفرصة للسفر إلى جنوب كاليفورنيا في لوس انجلوس بالولايات المتحدة لكي يواصل دراسته العليا في جامعة جنوب كاليفورنيا، وحصل هناك على شهادة الماجستير في "العلاقات الدولية" في عام 1964م التي ما كان يريد أن يدرسها بل كان يريد دراسة "القانون الدولي" في جامعة أخرى من الجامعات الأمريكية الشهيرة، ونجح في هدفه، لكن بسبب مرض أخيه، نبيل، اضطر إلى الانتقال إلى جواره والدراسة في جنوب كاليفورنيا، وبالتحديد في لوس انجلوس، ولم يجد التخصص المطلوب فيها، لأن الموضوع الذي كان يريد التخصص فيه ما كان يدرس في هذه الجامعة، فاضطر إلى دراسة "العلاقات الدولية"، ويقول الدكتور غازي القصيبي: "شأت الظروف، مرض أخي نبيل رحمه الله، وكان يدرس بجامعة جنوب كاليفورنيا في لوس انجلوس أن تغير تخصصي. كنت أنوي إكمال الدراسة القانونية في جامعة من جامعات شرق الولايات المتحدة وحصلت، بالفعل، على قبول في عدد منها. إلا أن مرض نبيل دفعني إلى الالتحاق به والبقاء معه في لوس انجلوس. اكتشفت أن

الموضوع الذي كنت أنوي التخصص فيه، القانون الدولي، لا يدرس في الجامعة، فقررت أن أدرس العلاقات الدولية. قضيت في الولايات المتحدة ثلاث سنوات في تعلم اللغة الإنجليزية ثم في الحصول على الماجستير¹⁰⁴.

وكان أخوه نبيل رجل ساعده (القصبي) في جميع مراحل الحياة، وكانت وفاته للقصبي صدمة كبيرة جدا. كما يقول غازي القصبي عن أخيه: "فإن وفاة شقيقي نبيل، الذي توفي وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، في ريعان شبابه، كان صدمة قاسية.. نبيل، رحمة الله، شخصية نادرة غريبة، هو من الأشخاص القلائل الذين لم يخطر على بالهم طيف المال أو المادة بأي شكل من الأشكال، إلى الآن لم أجد شخصا من هذا النوع. ووفاة نبيل شكل لي صدمة كبيرة، وأعتقد أنه في مكان قريب وسيعود، لأنني حتى، ولهم لست بمصدق أنه توفى؟"¹⁰⁵.

وفي فترة دراسة الماجستير تولى القصبي على رئاسة جمعية الطلاب العرب للمرة الأولى، التي أصبحت لكثرة الخلافات العربية متعبة مثل الشخص الذي أصبح متعبا بعد سفر طويل. وذلك بعد انعقاد اجتماع الجمعية العمومية لترشيح هيئة إدارية جديدة، قد وصل إلى هذا الاجتماع عديد من المرشحين لرئاسة الجمعية، ولكن أصدقاءه السعوديين اتفقوا على اختيار اسمه للرئاسة. وقد اجتمع الطلاب العرب على إنشاء هذه الجمعية بسبب الوضع الذي كان يعيشه العالم العربي في ذلك الوقت والذي يؤثر على أحوالهم¹⁰⁶. يقول الدكتور غازي عبدالرحمن القصبي: "كانت من أغنى تجاربي الإدارية خلال فترة دراستي في الولايات المتحدة رئاسة جمعية الطلاب العرب في الجامعة. كان في الجامعة قرابة

¹⁰⁴ - غازي القصبي ، حياة في الإدارة ، ص 25، 26.

¹⁰⁵ - حكاية اسمها غازي القصبي ، ص 45، 46.

¹⁰⁶ - حياة في الإدارة ، ص 32، 34..

مائة وخمسين طالبا عربيا، نصفهم من السعوديين، وكانت هناك جمعية تضم شملهم¹⁰⁷. وقد عمل القصيبي ومعه الجميع في الهيئة الإدارية بحماسة، وخلال شهور قليلة أصبحت الجمعية أنشط جمعية طلابية في الجامعة.

وفي عام 1964م، يعود الدكتور غازي القصيبي إلى البحرين قادما من لوس انجلوس وحاملا شهادة الماجستير في "العلاقات الدولية"¹⁰⁸. وبعد انتهاء دراسة الماجستير وصل إلى ثلاثة قرارات رئيسية. كان القرار الأول هو أن يلتحق بالجامعة وأو يجعل من التدريس الجامعي مهنة تستغرق حياته كلها. وكان يريد منذ سنين طويلة أن يلتحق بالجامعة ولكن لم يجد الفرصة إلا في هذه الفترة. وكان القرار الثاني ضرورة الحصول على شهادة الدكتوراه. وكان القرار الثالث أن يفصل بين مرحلتى الماجستير والدكتوراه بفترة من العمل. وقرر أن يذهب إلى الوطن للالتحاق بجامعة الملك سعود مدرسا مساعدا. وظل في هذه الجامعة كمدرس وقضى الفترة بين عام 1964م و عام 1967م في المهمات الهامة في البلاد وخارجها وشارك المؤتمرات الهامة، حتى أختير في جامعة، لندن، كلية يونيفرستي لدراسة الدكتوراه¹⁰⁹.

حمل القصيبي حقيبته في سنة 1967م ليغادر نحو لندن ويحضر الدكتوراه. وقضى في الولايات المتحدة سنوات عديدة وشارك في ندوات دولية، ووجد هناك الكثير من النشاطات الاجتماعية والثقافية. وكانت هذه الندوات فرصة له للتعرف على آراء جديدة وعلى أشخاص جدد. وبدأ القصيبي التحضير للدكتوراه، ووجد جو الدراسة في لندن مختلفا كل الاختلاف عن جو الدراسة في جامعتي الأمريكية القديمة. ولم يكن من الضروري حضور المحاضرات في الجامعة الجديدة بل كان على الطالب هل هو يريد الذهاب إليها أم لا؟ وكذلك ما كان من الضروري تقديم أوراق بحث الفصلية. وفي مثل هذا الجو

¹⁰⁷ - المصدر السابق ، ص32.

¹⁰⁸ - د. مكي محمد سرخان ، د. غازي القصيبي ، ص25.

¹⁰⁹ - حياة في الإدارة ، ص36،56.

الجيد واصل القصبي التحضير للدكتوراه حتى أكمل رسالته حول حرب اليمن تحت إشراف الدكتور جون بيرتون. ونال شهادة الدكتوراه في سنة 1971م، وأثناء التحضير للدكتوراه قد تزوج القصبي في عام 1968م، وترك زواجه أثرا ايجابيا على حياته بمختلف جوانبها بما فيه ذلك الجانب الإداري، وسافر مع زوجته إلى لبنان لقضاء شهر العسل. وكان زواجه بسيطا جدا¹¹⁰.

الفصل الثاني

حياته العملية

عاد الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي إلى الرياض بعد الحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن في كلية يونيفرستي كولج بالمملكة المتحدة، وأصبح أستاذا في جامعة الملك سعود، هكذا بدأت حياته العملية. وفي البداية، كان مشغولا في إدارة المكتب للإستشارات القانونية الذي فتحه صديقه وطلبه أن يتولى شئون المكتب، وخلال هذه التجربة قد علم غازي القصيبي بعدم صلاحيته لا للتجارة فحسب بل لأي نوع من الأعمال الحرة. وقضى القصيبي في المكتب حوالي سنة وعلم خلالها عن طبيعة الناس الذين لايفعلون أي خدمة بجدية كافية. وبدأ الدكتور، مع مشغول في مكتب للإستشارات القانونية ، كتابة المقالات في جريدة نصف شهرية "الرياض". ثم بدأ إعداد برنامج تلفزيوني أسبوعي يتابع التطورات الدولية باسم "أضواء على الأنباء". واكتسب بهذا البرنامج السمعة وبدأ الناس يعلمونه في أيام عديدة. كما يقول الدكتور غازي القصيبي: "حقق لي هذا البرنامج من الشهرة خلال أسابيع ما لم تحققه ثلاثة دواوين من الشعر خلال أكثر من عشر سنوات. كان الناس، حيثما ذهبت، يسألون: "هل أنت فلان الذي نراه في التلفزيون؟"¹¹¹. وكانت هناك اللجان الحكومية المتعددة التي عمل فيها القصيبي كمستشار قانوني من ضمنها لجان في وزارة الدفاع والطيران ولجان في وزارة المالية والاقتصاد الوطني.

وكذلك عمل الدكتور في مهده الإدارة العامة، وأنشأت الحكومة فيه برنامجا خاصا للذين تخرجوا من كليات الشريعة الموجودة في المملكة بحيث أن يكونوا قادرين على العمل لمستشارين قانونيين في وزارات الدولة. وأصبح الدكتور مشرفا على هذا البرنامج، وكانت المهمة تحديا مثيرا إلى أبعد الحدود، ثم

¹¹¹ - حياة في الإدارة ، ص 67.

سافر إلى القاهرة، للتقاعد مع أساتذة جامعيين مصريين. ووجد هناك نشاطات أخرى في كل اتجاه. وفي تلك الفترة وقبل الوزارة لسنوات، قد دفع الثمن لشهرته عندما ظهرت التعليقات حول "عاشق الأضواء" و"عاشق البروز" و"عاشق الظهور". وكانت معظم هذه التعليقات اللاذعة وراء ظهره. كما يقول الدكتور عن هذه التعليقات اللاذعة معلقا. "تعلمت تلك الأيام، ولم أنس قط، أنه إذا كان ثمن الفشل باهظا، فللنجاح بدوره ثمنه المرتفع. لا أعزو السبب إلى حسد دفين كامن في صدور الناس، وإن كان العالم لا يخلو من عدد من المنكودين المعذيين بسعادة الآخرين. ولا أعزو السبب إلى الغيرة، وإن كان العالم يحتوي عددا من الرجال لا تختلف غيرتهم من الآخرين عن غيرة المرأة ضرتها. أعزو السبب إلى نزعة فطرية في نفوس البشر، تنفر من الإنسان المختلف، الإنسان الذي لا يتصرف كما يتصرفون"¹¹². وبعد أقل من عام، جاء اقتراح للقصيبي من جانب الشيخ حسن آل الشيخ بموافقة الدكتور عبدالعزيز الخويطر، أن يكون متوليا على وكالة الجامعة، ولكن كان على الأستاذ الجامعي أن يتحول إلى عميد لكلية التجارة بأمر وزير المعارف والرئيس الأعلى للجامعة والملك في وقتها، لكنه أرسل القصيبي رسالة إلى الدكتور الخويطر بأنه لا يريد أن يتولى وكالة المنصب الا بشروط عديدة. منها أن لا تكون مدة العمادة أكثر من سنتين غير قابل للتجديد وكذلك أن يكون له الاختيار للإصلاحات الضرورية التي تحتاج إليها الجامعة وبالإضافة إلى هذه الشروط كانت هناك شروطا أخرى أيضا. يوفق مدير الجامعة على تلك الشروط كلها ورحب بها أيضا. وبعد أن أصبح القصيبي مديرا للجامعة بدأت الإصلاحات المتعلقة بالكلية بشكل سريع¹¹³. وظل الدكتور غازي القصيبي في تلك الجامعة أكثر من سنة، وبذل قصارى جهوده في إصلاح نظامها وسياستها، وبعد انتهاء فترة العمادة لم يترك الكتابة والقراءة وبدأ يكتب حلقات أسبوعية

¹¹² - المصدر السابق ، ص 69،70.

¹¹³ - حياة في الإدارة ، ص 79.

في جريدة "الجزيرة". والفترة التي قضاها في الكلية كمدير جعلته يحس أنه غريب في أرض غريبة بسبب مواجهة المشاكل فيها من جانب الناس¹¹⁴.

وفي عام 1973م اتخذ غازي القصيبي قرارا مهما ما كان متعلقا بجامعة أو شئون أكاديمية، بل كان بمؤسسة السكة الحديدية، واتخذ هذا القرار بعد أن اتصل به الأستاذ محمد عمر توفيق، وزير المواصلات، واقترح عليه هذه الوظيفة المهمة، وكان القصيبي مدهشا، اذا رأى وزير المواصلات علامات الاستغراب على وجهه فقال له عليك أن تستشير في هذا الأمر قبل اتخاذ القرار. واستشار مع زوجته التي لم يتخذ أى قرار رئيسي في حياته الا بعد بحثه بحثا طويلا مع زوجته، وكانت زوجته تعلم مشاكله ومصائبه وتحدياته واجهها القصيبي خلال فترة العمادة في الكلية. وكذلك استشار مع أصدقائه وأصحابه منهم الأستاذ عبد العزيز القريشي الذي كان لديه تجربة لسنوات عديدة في تلك الوظيفة ، وبحث معهم الجوانب المختلفة لهذا العمل الجديد. وبعد بحث طويل معهم، انضم القصيبي بمؤسسة السكة الحديدية في عام 1973م¹¹⁵.

هكذا انتقل غازي القصيبي من الحياة الأكاديمية إلى الخدمة العامة. يقول غازي القصيبي في هذا الصدد: "كنت حائرا في أمر الوظيفة الحالية المعروضة. بعد أسبوعين من التردد، ذهبت إلى الأستاذ محمد عمر توفيق وأخبرته أنني أقبل العروس. كان هذا، بحمد الله، قرارا موفقا لم اندم عليه قط"¹¹⁶. وتجدر الإشارة ههنا إلى أن الدكتور غازي القصيبي قد وجد فرصة ليصبح مديرا للجوازات والجنسية، قبل الحصول على الوظيفة في مؤسسة السكة الحديدية، من جانب الأمير نايف بن عبدالعزيز، وزير

¹¹⁴ - المصدر السارق ، ص93.

¹¹⁵ - غازي القصيبي ، سيرة شعرية ، 95.

¹¹⁶ - حياة في الإدارة ، ص102.

الدولة للشئون الداخلية في ذلك الوقت، الذي عرض عليه أن يعمل مديرا عاما للجوازات والجنسية، ولكنه أنكر هذا العرض وقال له معذرا منه إنه لا يصلح هذه الوظيفة.

عندما كان القصيبي في مؤسسة السكة الحديدية، بدأ يتضح له أنه يتحول شيئا فشيئا إلى "وزير تحت التميرين" و كان قد التقى بالأمير فهد بن عبدالعزيز من قبل، ولكنه عرفه أثناء عمله في المؤسسة. تحدث . ذات مرة . فهد بن عبدالعزيز عن فلسفة المملكة التنموية خلال اللقاء الخاص معه، و اتضح من خلال الحديث للقصيبي أن الأمير فهد كان يريد أن ينتقل القصيبي نحو مجلس الوزراء. وكان الأمير حينئذ نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء و وزيرا للداخلية. فوجد القصيبي فرصة للذهاب إلى الولايات المتحدة وفرنسا، وهكذا بدأ يشارك في القضايا السياسية المهمة، حتى أصبح عضوا في مجلس إدارة صندوق التنمية العقاري، ثم عضوا في إدارة الشركة العربية للإستثمار، وكذلك ذهب إلى بريطانيا مع الصديق الدكتور عبدالله نصيف والصديق الأستاذ عبدالله محمد علي رضا، لشرح سياسة المملكة البترولية. وأصبح، فيما بعد، الأمين العام لمجلس البترول العالي¹¹⁷. وفي عام 1975م حمل على كتفه مسئولية مهام الوزارة الجديدة، وأصبح وزيرا لوزارة الصناعة والكهرباء، ولكن كان أمامه مشكل خطير لأنه لم يكن صناعيا خبيرا، ولم تكن لديه أي خبرة في شئون الكهرباء. كما يقول الدكتور غازي القصيبي. "لا أعتقد أنني، عبر حياتي كلها، أصلحت "فيوزا" واحدا. عند تعييني لم أكن أعرف الفرق بين "الكيلوات" و"الميجاوات". أدركت أنني في حاجة إلى دراسة سريعة مكثفة، وانهكت في قراءة عدد من الكتب والكتيبات والدراسات. وبعد أسابيع من تكلفي بالوزارة كنت قد ألممت بقدر لا بأس به من المعلومات الأساسية عن

¹¹⁷ - المصدر السابق ، ص 114، 112.

الكهرباء. لا أدعي أنني أصبحت من الخبراء، ولكني أدعي أنني استطعت أن اتحاور مع الخبراء وأفهم لغتهم¹¹⁸.

يقال إن الكهرباء، بعد كونه وزيراً للكهرباء، دخلت كل بيت أو على الأقل غالبية المنازل في السعودية في ذلك الوقت، ونشأت في تلك الفترة شركة "سابك" عملاق البتروكيماويات السعودي. وحصل القصيبي على المناصب المختلفة خلال عمله وزيراً للصناعة والكهرباء¹¹⁹. وفي أيام عمله الأولى بالوزارة، دعا القصيبي صديقا له لعلاج الوضع التمردى للخدمات الكهربائية، مناقشة الحلول الجذرية.

وفي عام 1982م، تولى الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، وعين القصيبي وزيراً للصحة¹²⁰. لأنه كان يريد ادخال التحسينات في هذا المجال الوحيد الذي لم يواكب التنمية. كما كانت المشاكل والمصائب في مجال الكهرباء في التموين والمؤاني من قبل، لكنها قد انتهت إلا في مجال الصحة. قد تم اختيار عديد من الرجال لادخال التحسينات في مجال الصحة قبل القصيبي ولكنهم فشلوا في عملهم، وازدادت المشاكل في هذا المجال يوما بعد يوم، حتى قرر الملك فهد بن عبد العزيز تعيين غازي القصيبي وزيراً للصحة. كما يقول القصيبي: "كانت ثقة الملك المطلقة، التي عبر عنها شخصيا بأكثر من وسيلة في أكثر من مناسبة، كانت هذه الثقة المطلقة، قبل الصلاحيات وقبل الاعتمادات، هي سلاحي الأول والأخير في معارك وزارة الصحة"¹²¹.

وكان التعامل مع المواطنين في تلك الوزارة جيدا، والقصيبي الذي كان وزيراً للصحة، يذهب إلى المريض لالتقاءه واستعلامه عن العافية. وظهر القصيبي فيها كإنسان أكثر من كونه وزيراً أو إدارياً، وكان

¹¹⁸ - حياة في الإدارة ، ص 132، 131.

¹¹⁹ - التنمية: الأسئلة الكبرى ، ص 63، 78.

¹²⁰ - حياة في الإدارة ، ص 227، 230.

¹²¹ - المصدر السابق ، ص 242.

يعطي والدي كل طفل يولد في مستشفيات وزارة الصحة، صورة الطفل و"دليل الأسماء العربية" من جانب الوزارة. وهكذا نشأت العلاقة الودية الحميمة بين الناس والوزارة حتى أنشأت "جمعية أصدقاء المرضى" التي كانت أول جمعية في المنطقة الشرقية. وكان من أهداف إنشائها توزيع الألعاب والهدايا على الأطفال، وتقديم النصائح والمشورة للوزارة. وبالإضافة إلى ذلك بدأ القصبي بمساهمة أمراء وعدد من كبار المسؤولين يعزز عملية التبرع بالدم، وكان يعطي كل متبرع شهادة التبرع بالدم. وأبرز ما استطاع القصبي تحقيقه هو إعطاء ميدالية الاستحقاق لكل من يتبرع بدمه عشر مرات. وعندما ترك القصبي الإدارة لم تكن هناك قلة الدم المستورد أيضا¹²². وقد وزعت المصاحف بين المرضى، ووضعت الآية القرآنية في غرفة المستشفيات، وحتى كانت هناك الجهود في أن تكون في كل مستشفى مكتبة. ويقول الدكتور غازي القصبي: "طلبت من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وقتها، أن يكلف بعض العاملين معه بإعداد كتاب صغير يتضمن من الآيات الكريمة والأحاديث المطهرة ما يدخل الطمأنينة على نفوس المرضى وتجاوب سماحته مشكورا مع الطلب"¹²³.

وظل الدكتور غازي القصبي في المستشفى كوزير للصحة، وقام بالاعمال الجليلة في مجال الصحة التي ما شهدتها المملكة العربية السعودية من قبل، وقام بإنشاء جمعية متعلقة بالتدخين لمراقبة المراهقين ومنعهم عن التدخين. وقد نجح في جميع المجالات المتعلقة بالصحة وكان لديه الابتكارات في مجال الصحة. وكان هناك برنامج للتعاون الثنائي بين المملكة وألمانيا الغربية تحت إشراف محمد أبا الخيل من الجانب السعودي، وحاول القصبي أن توفر ضمن هذا البرنامج، مؤسسة ألمانية طبية الاطباء والأخصائيين لإدارة المستشفى صحيا، وعلى الوزارة أن تتولى العبء الإداري بما فيه

¹²² - المصدر السابق ، ص 246، 247.

¹²³ - حياة في الإدارة ، ص 249.

النظافة والتموين وغيرها عن طريق مقاولين محليين، وتم الاتفاق على هذه الشروط. وتسببت هذه التجربة في ازدياد عدد الاطباء وفتحت مستشفيات عديدة في المملكة العربية السعودية¹²⁴.

وحاول القصبي اتخاذ العديد من الإجراءات اللازمة المتعلقة بالصحة بصفته وزيراً للصحة، ولكن الملك لم يوافق عليها. واصر القصبي على اتخاذ هذه الإجراءات. وعندما رأى أن الملك لا يستجيب لمطالبته فوجه إليه أنه سيترك منصبه فنصحه الملك ألا يفعل هكذا ويتذرع بالصبر. فنظراً إلى رفض الملك عن اتخاذ هذه الإجراءات اللازمة، نشر قصيدته "رسالة المتنبى الأخيرة إلى سيف الدولة". كان يريد بنشر هذه القصيدة توضيح قواعد اللعبة السياسية والإدارية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية، لم يجد الملك سبيلاً للفرار بعد نشر القصيدة وبعد أيام قليلة أصدر الأمر بإعفاء الوزير من وزارة الصحة. كما يقول القصبي: "عندما تبينت أنني سوف افشل فشلاً ذريعاً في وزارة الصحة، اخترعت أزمة بعد أزمة ومشكلة بعد مشكلة حتى اخرج لا خروج الفاشلين بل خروج الأبطال. لم أكن، قط، من المؤمنين بنظرية المؤامرة ولكني كنت، دوماً، أغبط أصحابها على خيالهم الواسع. هذا التحليل، بلا ريب هو درة من درر الخيال. لم يكن خروجي بطولة. كانت البطولة أن أبقى لأكمل ما بدأته"¹²⁵.

وكان يشعر بشئ من الأسى بالنزاع والجدال الذي حدث بينه وبين الملك، ولكنه لم يكن نادماً، لأنه يعتقد إذا يكون وزيراً غير فعال لا يمكن له أن يخدم الملك أو المواطنين. وبعد يوم أو يومين من الإعفاء أرسل القصبي إلى الملك رسالة وشكره فيها على الدعم الذي تلقاه منذ عبر السنين واعتذر عن الحرج الذي سبب له عبر السنين، وأخبره عن رحلته حول العالم في الأيام القادمة، وبعد بضعة أيام جاء إليه عرض رائع من جانب صديقه الخاص الذي كان مستشاراً قانونياً بالانضمام إليه في مكتبه بأي صفة

¹²⁴ - المصدر السابق ، ص 267.

¹²⁵ - حياة في الإدارة ، ص 268.

يريدها، كمدير أو شريك له، ولكنه اعتذر منه بعدم قبوله هذا العرض وقال إنه سيحتفظ به خياراً من خيارات المستقبل. ويقول الدكتور غازي القصيبي: "كانت أوضاعي المادية، بحمد لله، طيبة ولم أكن قد فكرت في عجلة من أمري. كان هناك أكثر من احتمال، كنت أعرف أنني لا أستطيع العودة إلى الجامعة. بعد هذه السنين سيكون "الغرب" أكثر غربة في "الأرض الغريبة". وكنت أعرف أنني لا أستطيع، في سن الرابعة والأربعين، أن أنبغ فجأة في التجارة والمقاولات. كان بوسعي أن أقوم بأعمال إستشارية في مجال من المجالات. وكان بوسعي أن أعود إلى مهنة الاستشارات القانونية. وكان هناك الاحتمال الأكثر إغراء: التفرغ التام للقراءة والكتابة"¹²⁶. ومع هذه العاصفة التي تعرضت لها علاقته مع الملك، كان القصيبي مطمئناً بأن العلاقة بينهما ستظل ما كانت عليه من قبل ولن تتأثر، وبعد أسبوعين من الإعفاء كان القصيبي جالسا مع الملك وكانت الأحاديث الودية بينهما جارية، والملك كان يتكلم بكلام طيب حتى سأله أثناء الكلام عن سفره حول العالم، فأخبره القصيبي عن إرادته وكان رد الملك عاطفياً مؤثراً. وبدأ رحلته حول العالم حتى جاءه اقتراح مهم للسفير السعودي لدى البحرين من قبل الأمير سعود، ورأى أن هذا الاقتراح والعرض مهم له فلذا أخذه بيديه وأصبح سفيرا ودبلوماسيا في عام 1984م¹²⁷. ولم يكن مثل هذا المنصب للقصيبي مجالاً جديداً، وهو يعلم عن المجال الدبلوماسي من قبل لأنه قد درس القانون الدبلوماسي والقنصلي في الكلية، وقد كان لقي السفراء العديدة. كما يقول القصيبي. "سعادة السفير! لقب سحري جديد! لم أشعر بنشوة و لم أشعر بتحد. لم أكن غريباً عن المجال الدبلوماسي. درست القانون الدبلوماسي والقنصلي عدة سنوات في الكلية. عرفت العشرات من السفراء من مختلف الجنسيات. ورأيت عن كثب كيف يعمل السفراء السعوديون وكيف تدار السفارات السعودية. كنت أعلم أن الوظيفة الجديدة لن تحمل أي مفاجآت من أي نوع. كنت أدرك أن السفارة، بعد الوزارة، (مع

¹²⁶ - المصدر السابق ، ص 271.

¹²⁷ - غازي القصيبي ، حياة في الإدارة ، ص 271.

الاعتذار لكل السفراء) سوف تكون بمثابة "اجازة مدفوعة الثمن"¹²⁸. وقضى القصيبي قرابة سنتين في البحرين وسنحت له الفرصة وأصبح عميد السلك الدبلوماسي، وأن العميد هو السفير الأقدم. وبعد قضاءه سنوات عديدة في البحرين ذاعت شائعات تتحدث عن انتقاله من البحرين، وفي عام 1991م، جاءه مستشار ولي العهد، الأمير عبدالله وهو يحمل في يده رسالة محتوية على ترغيب المملكة في إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي (الذي كان لا يزال الدولة الأعظم الثانية) وكذلك كانت الرسالة محتوية على إرادة السفير السعودي لدى لندن في انزاله عن منصبه بعد أن قضى فيه أكثر من عشر سنوات، وكذلك كان في تلك الرسالة اقتراح للقصيبي من قبل الأمير عبدالله للانتقال من البحرين إلى موسكو أو لندن، اينما يريد، عندما اطلع على هذا الخبر فحزن، ولكنه شكر لولي العهد ثقته وقال أنه مستعد للعمل في أي مكان وأي منصب، ولكن في الحقيقة كان محزوناً لأنه يريد أن يبقى في موقعه ولا يرغب في الانتقال إلى موقع آخر¹²⁹. ويقول غازي القصيبي عند انتقاله من البحرين إلى لندن: "لا أنسى، ما حييت، وداع البحرين المؤثر. كسر الأمير الشيخ عيسى كل قواعد البروتوكول. أقام مأدبة كبرى تكريماً لي، ولم يسبق لأي سفير أن كرم على هذا النحو، ومنحني وسام البحرين، ولم يسبق لأي سفير منح هذا الوسام"¹³⁰.

انتقل القصيبي إلى لندن سفيراً لبلاده في عام 1992م، وقد رافقت هذه الرحلة المليئة بالتجارب والمنعطفات رغبة في العلم والثقافة منذ الصغر¹³¹. وبقي ثمة طوال إحدى عشرة سنة كسفير للمملكة، ثم عاد نحو الوزارة، وأصبح وزيراً للمياه ثم وزيراً للمياه والكهرباء بعد أن دمجتا في وزارة واحدة في عام 2003م، وأخيراً تولى منصب وزير العمل إلى أن توفي صباح يوم الأحد، الخامس من شهر اغسطس عام

¹²⁸ - المصدر السابق ، ص 276.

¹²⁹ - حياة في الإدارة ، 273، 306.

¹³⁰ - المصدر السابق ، ص 307.

¹³¹ - شعرغازي القصيبي: دراسة فنية ، ص 13.

2010م، الساعة العاشرة صباحا في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض وهو كان في عمر يناهز السبعين عاما بعد معاناة طويلة مع المرض.

الفصل الثالث

محاولته الأدبية

لا شك فيه أن غازي عبدالرحمن القصيبي يعد أحد هولاء الأدباء المجددين الذين أضافوا الشيء الكثير إلى الأدب العربي السعودي، والذين ذاع صيتهم في العالم العربي وخارجه من أمثال عبدالرحمن منيف، ومحمد عبده اليماني وغيرهما. وكان القصيبي منذ بداية حياته متواصلا مع المشهد الثقافي السعودي عبر إصداراته السنوية لكثير من الاعمال الشعرية والنثرية المهمة، ولقد أحدثت معظم مؤلفات الشاعر والروائي والمفكر غازي القصيبي ضجة كبرى حال طبعها، وكثير منها قد منعت من التداول والقراءة في السعودية. وهو كان شاعرا موهوبا كما كان روائيا قديرا، وتعد اعماله الروائية من أحسن الاعمال الأدبية في الأدب السعودي. وما عدا ذلك كتب عديدا من المقالات الفكرية والسياسية. بدأ غازي القصيبي حياته الأدبية بكتابة الشعر ثم تحول إلى فن الرواية.

ربما يعد القصيبي أحد أشهر الأدباء السعوديين بسبب ميوله الأدبية الجادة التي ترجمها عبر دواوينه المتنوعة مضمونا. وأصبح رمزا منيرا بين الشباب، ولكن عندما أصدر القصيبي ديوانه الشعري الثالث "معركة بلا راية" ثارت ضجة في المملكة، واعترض كثير من الناس على هذا الديوان الشعري، وكان هولاء الناس من المتحمسين الذين لا يمتلكون الأذواق الأدبية ولا يعلمون عن ملامح الأدب. وأخيرا ذهبوا إلى الملك فيصل مطالبين بمنع الديوان من التداول، وتأديب الشاعر، فأمر الملك فيصل مستشاريه بأن يقرأوا هذا الديوان ويأتوا بالنتيجة، اتضح الأمر بعد التحقيق أن الديوان هو كمثل ديوان شعر عربي آخر، ولكن الضجة كانت مستمرة حول الديوان حتى أنشأت لجنة مشتملة على وزير العدل و وزير الحج والأوقاف و وزير المعارف لدراسة هذا الديوان، وبعد الوصول إلى نتيجة أصدرت اللجنة حكمها

بأنه لا يمس الدين أو الخلق بل هو مثل ديوان شعر عربي آخر. وحينما تمر هذه الواقعة بذهن القصيبي يتذكر موقف الملك عبدالله بن عبدالعزيز من هذه القضية¹³². كما يقول غازي القصيبي: "سمعت من أحد المقربين إليه أنه اتخذ خلال الأزمة موقفاً نبيلاً وحث الملك فيصل على عدم الاستجابة إلى مطالب الغاضبين المتشنجة"¹³³.

وفيما بعد استمر صدور انتاجاته الأدبية من دواوين الشعر والروايات والكتب الفكرية. حيث أصدر دواوينه الشعرية: أشعار من جزائر اللؤلؤ، وسحيم، وللشهداء، وصوت من الخليج، والأشج، واللون عن الأوراد. وأما الروايات فهناك روايات مهمة عديدة، وهي شقة الحرية، والعصفورية، وسبعة، وهما، وسعادة السفير، ودنسكو، وسلمى، وأبو صلاح البرمائي، والجنية وغيرها. وله مؤلفات في المجال الفكري: التنمية والأسئلة الكبرى، والغزو الثقافي، وأمريكا والسعودية، وثورة في السنة النبوية. والكتاب الذي وثق فيه سيرته الإدارية والذي حقق مبيعات عالية: حياة في الإدارة. واكتسبت كثير من الكتب للقصيبي شهرة واسعة، لكن هناك معظم مؤلفاته أحدثت ضجة كبيرة حال طبعها، حتى منعت كثير منها من التداول والقراءة في المملكة، وفيما بعد أمر وزير الإعلام معالي الدكتور عبدالعزيز خوجة بتداول تلك الكتب الممنوعة عن إصدارها وقراءتها في المملكة¹³⁴.

أما الديوان "معركة بلا راية" فهو أفضل من الديوانين السابقين "أشعار من جزائر اللؤلؤ" و "قطرات من ظمأ". والفترة التي كتب فيها القصيبي الديوان "معركة بلا راية" كانت بداية حياته العلمية وشهد في حياته العديد من التجارب الحافلة في أكثر من ميدان. سافر إلى لندن لاستكمال دراسته العليا والحصول على الدكتوراه، وهناك تزوج وأصبح والداً بعد ولادة بنته "يارا"، وكذلك شهد في تلك الفترة

¹³² - المستفاد من: غازي القصيبي، سيرة شعرية، ص 77.

¹³³ - حياة في الإدارة، ص 168.

¹³⁴ - المستفاد من: المدينة، صحيفة يومية صادرة عن مؤسسة المدينة للصحافة والنشر، يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر أغسطس عام 2010م

ارهاصات الانهيار الشامل الذي لم ينتهي إلا بمأساة العرب القاتلة في حزيران الأسود. وكل هذه التجارب وبالإضافة إلى التجارب الأخرى انعكست على نحو أو آخر في قصائد معركة بلا راية. ويقول غازي القصيبي عن ديوانه هذا: "ولو قمت باستفتاء بين القراء والنقاد لوجدت أن معركة بلا راية يعتبر الديوان المفضل من دواويني لدى غالبيتهم. وأعتقد أن سبب ذلك يعود لى أن المعاناة الإنسانية التي ولد الديوان بين أحضانها أصبحت أغنى وأوسع وأنضح مما يجد القارئ في الديوانين السابقين. وإذا كنت من الناحية الفنية أستطيع أن أتبين ذلك بوضوح فإنني من الناحية الشخصية لا أستطيع أن أعتبره "أحسن" من البقية. هذا الديوان، بدوره، مرآة أمينة لمرحلة غالية من مراحل العمر"¹³⁵. وكما يقول: "إن ديوان معركة بلا راية بخلاف الديوانين السابقين، يصعب أن يصنف كديوان غزل ولعل هذا ما دفع بعض النقاد إلى اعتباره مرحلة جديدة في مسيرتي الشعرية تختلف عن النهج الرومانسي السابق"¹³⁶.

وبدأ غازي القصيبي كتابة مقالاته وقصائده منذ الوقت الذي كان فيه في المدرسة الثانوية. ونشرت هذه المقالات والقصائد في الصحف والجرائد في المملكة والبحرين. وقدم في "الرياض" و"الجزيرة" برنامجا تلفزيونيا بصفة منتظمة وفي جميع الصحف الصادرة عن المملكة العربية السعودية بصفة غير منتظمة. وكذلك عندما كان في الوزارة، كتب في "اليمامة" زاوية منتظمة وسماها "في رأي المتواضع" وفيما بعد تحولت إلى كتاب يحمل نفس الاسم. وتناول من خلالها عددا من القضايا والأوضاع السياسية والاجتماعية. وعندما عاد القصيبي إلى البحرين عاد إلى "الأضواء" بزاوية اسبوعية "رومانسية" ظهرت حلقاتها فيما بعد على هيئة كتاب بعنوان "100 ورقة ورد". ثم جاءت عاصفة احتلال الكويت وجاءت زاوية "في عين العاصفة"¹³⁷.

¹³⁵ - غازي القصيبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، ص 69.

¹³⁶ - المصدر السابق ، 76.

¹³⁷ - د. مكي محمد سرخان ، د. غازي القصيبي ، ص 37، 38.

يري بعض الناس أن الأدب للقصبي هو متطرف نحو اليسار، ولكن الآخرين يرون بأنه متطرف لليمين، لاسيما في أدبياته الأخيرة، وخصوصا قصيدته "الشهداء" التي مجد فيها القصبي للعمليات الانتحارية في فلسطين، وأشاع بعض الناس حينها أنها كانت سببا لتدهور علاقاته الدبلوماسية في بريطانيا، فانتقل من السفارة إلى الوزارة، وذلك بعد نحو عام من نشر القصيدة.

وفي اواسط التسعينات انفجرت نزاعات فكرية وثقافية بينه وبين مجموعة من الصحويين، وجعلت هذه الاختلافات بينه وبين الصحويين تزدهر حتى بدأوا يطعنون فيه عبر المنشورات والمنابر، وتجاوز الأمر الحد، فكتب غازي القصبي كتابا وسماه بـ "حتى لا تكون فتنة" ليس هذا الكتاب برواية أو قصة قصيرة بل هو بمثابة الرسالة، يوجهها نحو من جعلوا أنفسهم خصوما له، وأشهرهم ناصر العمر وسلمان العودة. وانتهت تلك المرحلة بسلام بعد إصداره هذا الكتاب.

غازي عبدالرحمن القصبي شاعرا:

حاول القصبي أن يكتب بيتا من الشعر منذ الأيام التي كان فيها طالبا في السنة الأولى من المدرسة الثانوية، وقرر الالتحاق بنادي الشعراء. يقول غازي القصبي عن الدافع الرئيسي الذي دفعه إلى كتابة قصيدته الأولى. "وقد كنت أقرأ الشعر وأنا ابن التاسعة، وكان يطلب مني أن ألقى الشعر في المناسبات و النشاطات المدرسية، ولم أكن قد كتبت شعرا، و بعد أن انتقلت إلى الثانوية التي تعادل المتوسطة كان الأخ عبد الرحمان رفيع يكتب الشعر...وقلت في نفسي لماذا لا أجرب الشعر؟ و خضت

غماره، وبعد ذلك انطلقت، لكن لولم تكن الموهبة موجودة لانتهت التجربة بقصيدة أو اثنتين، فالموهبة هي الاساس، لكن يبدو أن الأخ عبد الرحمان كان هو(الزر) الذي أستخدم لإنطلاق شاعريتي¹³⁸.

وكان يتناول في شعره القضايا الوطنية والفكرية الكبرى، التي كان يمزجها بحالة الوجد والشفافية الرومانسية التي تأصلت في داخله، حتى أصبحت من أبرز مكوناته الشعرية¹³⁹.

واستمرت محاولته الشعرية، وكانت هناك التأثيرات العديدة التي لعبت دورا هاما كبيرا في تجربته الشعرية، قرأ القصبي كثيرا من القصائد للشعراء القدامي والمحدثين وتأثر بهم تأثرا ذكرا في بعض قصائده، كما يقول غازي القصبي عن تجربته الشعرية التي لعبت دورا هاما في رسم ملامح الشكل الشعري: " لقد كان من حسن حظي أو سوءه أنني في مرحلة التأثر الأولى بدأت قراءاتي في الشعر القديم والحديث معا وتذوقتهما على حد سواء، لعل هذا السبب هو الذي جعلني طيلة مسيرتي الشعرية وحتى اليوم أقف موقفا وسطا بين المعسكرين. فالجدل القائم حول الشعر التقليدي والحديث لم يستطع جذبي إلى أي من الفريقين، الشعر شعريستوي بعد ذلك ان يكون متساوي التفعيلات أو لا يكون، وقد كتبت أول قصيدة في سن السادسة عشر، وكتبت القصيدة الثانية في السابعة عشر، وكان اسمها "نداء الربيع"، ومنذ ذلك الحين أنا أكتب الشعر بشكليه القديم والحديث، ولعل عدد القصائد التي كتبتها من كل نوع يساوي العدد من النوع الآخر وعلى خلاف بعض الشعراء الذين ينزعون بمرور الوقت إلى هجر أحد النوعين والتفرغ نهائيا للنوع الآخر فإنني أجد نفسي مازلت حتى الآن اكتب الشعر بنوعيه وبالنسبة نفسها"¹⁴⁰.

¹³⁸ - حكاية اسمها غازي القصبي ، ص31

¹³⁹ - مجلة "الجوبة" المملكة العربية السعودية، ص48، العدد: 34، عام 2012م.

¹⁴⁰ - غازي القصبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، ص37.

كتب القصبي ديوانه الثالث "معركة بلا راية" الذي لاقى إقبالا ورواجا لدى الأدباء والنقاد، وكان هذا الديوان يعتبر المفضل من دواوينه لدى غالبيتهم. وظهر أول تجديد مارسه القصبي على مستوى الشكل فيه. إذ يقول: "إنني أجريت في هذا الديوان بعض التجارب الجديدة بالنسبة لي، من حيث الشكل في قصيدتين هما: "كلمات لصديقة" و"السيمفونية الصامتة" استعملت فيهما عدة بحور مختلفة وراوحت في القصيدة الواحدة بين الشكل التقليدي والشكل الحديث، كما أنني كتبت قصيدة تقليدية من رباعيات، كل رباعية من بحر مختلف هي قصيدة "رباعيات عاشقة" وفي الديوان نفسه كتبت لأول مرة قصيدة تتحرر تحررا شبه نهائي من القافية هي "الموت في حزينان" غير أن الديوان لم يختلف عن الدواوين السابقة في احتوائه على عدد متقارب من القصائد التقليدية والحديثة"¹⁴¹.

إن القصبي كان متأثرا بعدد من الشعراء وخاصة بدر شاكر السياب الذي سبقهم في المزاجية بين التراث والتجديد، وكتب القصبي قصائده الكثيرة من الشعر الحديث متأثرا بدر السياب في المضمون وأحيانا في الأسلوب، كما كان السياب شاعرا حرا، فاستخدم القصبي متأثرا به أسلوب التحرر المطلق من القافية في قرض الشعر الحديث. وجاء بهذه التجربة في ديوانه "معركة بلا راية" وأنت الرياض" وواصل التجربة في قصائده الثلاثة. وهي "موت انسان" و"حبك" و"و حين أكون لديك". كما يقول القصبي: "إنني أشعر أن نجاحي في هذه التجربة لم يكن كاملا فبقدر ما يتيح هذا الأسلوب من حرية في الاسترسال تسمح بتداعي الأفكار وانثيالها، إلا أن قدرا من الموسيقى التي توفرها القافية يضع ويتبخر"¹⁴². وكتب ديوانا باللغة الانجليزية، إلى جانب دواوين باللغة العربية، وهو "من الشرق والصحراء" (From The Orient And The Desert) الذي نشره القصبي بعد ديوانه "أنت الرياض".

¹⁴¹ - المصدر السابق ، ص 77.

¹⁴² - غازي القصبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، ص 98.

ثم أصدر غازي القصيبي ديوانه " العودة إلى الأماكن القديمة " الذي يراه بعض النقاد بداية مرحلة جديدة في شعره تختلف عن كل المراحل السابقة. واختار في قرض الشعر في هذا الديوان مسار التقاليد القديمة والحديثة، كما كان الشأن في الماضي. كما يقول القصيبي: " سأظل أكتب بعض قصائدي شعرا تقليديا وبعضها شعرا حديثا ما دمت أكتب، وكالعادة هناك قصيدة متحررة من القوافي تماما هي " غريب! غريب! غريب!" بالإضافة إلى قصيدة أخرى قصيرة كتبت في مرحلة سابقة"¹⁴³. وتوجد في هذا الديوان لمحات كثيرة من البيئة السعودية. كما ثمة قصيدتان في رثاء الملك خالد رحمه الله، لأنه كان للقصيبي مثل والده كما اعترف به عند موته أنه فقد أباه مرة ثانية.

أما الهدف للقصيبي في قرض الشعر فهو أن يتحدث شعرا فقط، لقد كان لأحداث الحياة المتعاقبة أثر بالغ عليه وعلى شعره، ولكن ما أراد من كتابة الشعر أن يحقق هدفا يتجاوز الشعر ذاته. يقول القصيبي عن هدفه في قرض الشعر: " إنني لم أكن في أي لحظة من اللحظات مدفوعا بأي هدف يتجاوز التعبير، شعرا عما كنت أحسه في تلك اللحظة. لم أكتب الشعر يوما خدمة لخط سياسي معين ولم أكتبه هجوما على خط معين. لم يكن هدفي من كتابة الشعر أن أغير نفسي أو أغير الآخرين. كان هدفي الوحيد أن أتحدث شعرا"¹⁴⁴.

وظل الدكتور غازي القصيبي يكتب في مجال الشعر، وأصدر عديدا من الدواوين و مرفي هذا المجال بتجارب عديدة. وواصل مغامراته الشعرية وظل باحثا عن الآفاق الجديدة في مجال الشعر حتى أنه قال: "إن أقصى تحرر وصلت إليه في تجاربي هو إهمال القافية نهائيا، والتمسك بالوزن وحده. وذلك

¹⁴³ - المصدر السابق ، ص125.

¹⁴⁴ - غازي القصيبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، ص134.

في قصائد لا تتجاوز عدد اصابع اليدين ولكنني لم أكتب شعرا حرا بمعنى الانفلات من الوزن والقافية
معا¹⁴⁵.

تجدد الإشارة ههنا، قبل تناول تطوره تجربته الشعرية على مستوى المضمون، إلى المشكلة التي كانت متعلقة باسم دواوين القصبي والتي نشأت عند اختياره عناوين دواوينه، وهو كان يتفكر جديا قبل أن أطلق عليها اسما، وفي كثير من الأحيان كان يبحث مع أصدقائه في هذا الأمر. كما يقول غازي القصبي عن هذا الصدد: "بقي العنوان مشكلة دون حل بضعة أسابيع إلى ان اقترح الشاعر الصديق ناصر أبو حميد عنوان "أشعار من جزائر اللؤلؤ" فنال هذا الاسم استحسانا واستحسان الكثير من القراء فيما بعد"¹⁴⁶، وأما في الديوان الثاني "فلم تكن هناك مشكلة بالنسبة للاسم هذه المرة، ذلك أنني بمجرد أن كتبت قصيدة "قطرات من ظمأ" قبل طبعه بأكثر من سنة قررت أن يحمل الديوان اسمها، وقد أصبح إطلاق اسم قصيدة من الديوان على الديوان بأكمله تقليدا تكرر مع الدواوين التالية باستثناء "أبيات غزل"¹⁴⁷. وفي رأيي أنا أنها مسألة مهمة لأنها تتعلق بشكل مباشر بمضامينه الشعرية وتداخل الأمداء الزمنية لدواوينه التي سوف نوضح فيما بعد.

يشتمل الديوان "قطرات من ظمأ" على "ثلاث وعشرين قصيدة كتبت سبع قصائد منها في فترة سابقة والباقي بين سني الواحدة والعشرين والخامسة والعشرين"¹⁴⁸. "وهي تصور تجربة شاب عربي شرقي يلتقي لأول مرة بمجتمع الولايات المتحدة الغريب"¹⁴⁹.

¹⁴⁵ - المصدر السابق ، ص 160.

¹⁴⁶ - المصدر السابق - ص 50.

¹⁴⁷ - المصدر السابق ، ص 64.

¹⁴⁸ - غازي القصبي ، سيرة شعرية، ج 1، ص 60.

¹⁴⁹ - المصدر السابق ، ص 58.

ينتقل الدكتور غازي القصيبي بتجاربه بنقلة نوعية متميزة في ديوان "معركة بلا راية" وهو يقول:
 "لقد كتبت قصائد هذا الديوان بين سني الخامسة والعشرين والثلاثين، وقد شهدت هذه الفترة من حياتي العديد من التجارب الحافلة في أكثر من ميدان، في هذه الفترة بدأت حياتي العملية، وسافرت إلى لندن لاستكمال دراستي العليا والحصول على الدكتوراه، تزوجت وولدت ابنتي يارا، فقدت ثلاثة من أقرب الأشخاص إلى قلبي، أما على المستوى القومي، فقد شهدت تلك الفترة إرهاصات الانهيار الشامل الذي انتهى بمأساة الغرب القاتلة في حزيران الأسود، كل هذه التجارب انعكست على نحو أو آخر في قصائد "معركة بلا راية"¹⁵⁰.

وفي ديوان "قراءة في وجه لندن" الذي تم كتابة قصائده في عامي 1991م-1997م، يعمق الدكتور القصيبي معظم محاور دواوينه السابقة كمحور الهم القومي وهاجس الزمن والحب.

فقد أشرنا فيما أعلاه إلى مسألة اختيار الدكتور القصيبي لعناوين دواوينه وقلنا إن لها علاقة مباشرة بمضامينه الشعرية وتداخل الأمداء الزمنية لدواوينه، وبعد أن قمنا باستعراض بعض الدواوين يتضح لنا أن عناوينها مكتنزة بالدلالة أعني أن كل عنوان يكرس المحاور الأساسية التي تدور حولها معظم مضامين قصائد الديوان الذي يشير إليه، ف"قطرات من ظمأ" اعتمده عنوانا أو محورا لديوانه الثاني كما أسلفنا الذكر عنه، وما أن اكتملت قصائد الديوان وانتظمت في محورها، أصدرها مطلقا عليها عنوان محورها غير مكترث بتواريخ إبداعها، لذلك تداخلت الأمداء الزمنية لمعظم دواوينه، أي أن الشاعر ما يصدره في كل ديوان من رصيد أشعاره الغزير، مما أدى إلى تداخل الأمداء الزمنية لدواوينه كما يتضح من الجدول الآتي:

المدى الزمني للقصائد		رقم	إسم الديوان	تاريخ	تاريخ أول قصيدة	تاريخ آخر قصيدة
1	أشعار من جزائر اللؤلؤ	1960م	1957م	1960م		
2	قطرات من ظمأ	1965م	1959م	1965م		
3	معركة بلا راية	1971م	1965م	1971م		
4	أبيات غزل	1976م	1956م	1976م		
5	أنت الرياض	1977م	1959م	1977م		
6	الحيى	1982م	1977م	1982م		
7	العودة إلى الأماكن القديمة	1985م	1967م	1985م		
8	وردة على ضفائر سناء	1987م	1985م	1987م		
9	عقد من الحجارة	1991م	1986م	1991م		
10	مرثية فارس سابق	1992م	1990م	1992م		
11	واللون عن الأوراد	1995م	1988م	1995م		
12	سحيم	1996م	1995م	1996م		-
13	قراءة في وجه لندن	1997م	1991م	1997م		

غازي عبدالرحمن القصيبي روائيا:

حين ننظر إلى غازي القصيبي روائيا فنجد أن النقاد والأدباء قد اتفقوا على أنه واحد من الروائيين المجددين في المملكة العربية السعودية، والذين لديهم الخبرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والمكانة الثقافية. وذهبوا إلى أنه كتب عددا من الروايات الجيدة، ولكن من أهم وأفضل وأشهر ما كتبه غازي القصيبي روايته "شقة الحرية" و"العصفورية". وبالإضافة إلى الروايات والدواوين كتب القصيبي مؤلفات أخرى نالت شهرة واسعة. منها "حياة في الإدارة". يعد هذا الكتاب أشهر ما نشر له، وتناول سيرته الوظيفية وتجربته الإدارية حتى تعيينه سفيرا في لندن.

إن الدكتور غازي القصيبي قد حصل على التجارب الأدبية العديدة وتذوق مذاق الأدب العربي الحديث والقديم منذ صغر سنه، وعكف على قراءة مؤلفات الكتاب والأدباء المعاصرين و القدماء، ودراسة كتب التواريخ والروايات قديمة كانت أو حديثة، إسلامية كانت أو غير إسلامية. وقد رافقت رحلة الدكتور غازي القصيبي المليئة بالتجارب والمنعطفات رغبة في العلم والثقافة منذ حداثة عمره، كما هو يقول: "أذكر تماما أنني قبل أن أبلغ العاشرة قرأت كتب كامل الكيلاني كافة، وتجاوزتها إلى مجموعة من روايات يوسف السباعي، إلى معظم قصص تاريخ الإسلام التي كانت تصدرها دار الهلال، إلى جانب كل ما وقع تحت يدي من روايات أرسين لوبين و روكامبول كما أن تجربتي مع المسرح المدرسي بدأت في سن التاسعة، واستمرت حتى مراحل الدراسة الثانوية وخلفت لي هواية باقية هي الشغف بالمسرح، وقد كانت اللغة العربية منذ أول يوم لي في المدرسة مادتي المفضلة"¹⁵¹، "لقد كنت منذ التاسعة، وحتى اليوم، قارئاً مدمناً، ولا اعتقد أن أسبوعاً واحداً قد مر بي، ولم أنته فيه من قراءة كتابين أو ثلاثة ولذلك غطت قراءاتي حقولاً واسعة ومتنوعة، لقد قرأت الكتب الأدبية التقليدية، مثل البيان والتبيين والعقد الفريد

¹⁵¹ - غازي القصيبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، 15.

والأغاني، وقرأت بتوسع في التاريخ والرواية والقصة والسير، إلى جانب ما تطلبتته الدراسة الأكاديمية من قراءات واسعة في القانون والعلوم السياسية والاقتصادية، وعدد آخر من العلوم الاجتماعية. على أنني يجب ان أعترف أن الثقافة التي حصلت عليها من خلال مطالعاتي لم تخل من عدة ثغرات، الأولى: أنني لا أتقن من اللغات الأجنبية سوى الإنجليزية وما يسببه هذا الجهل من قصور في الثقافة أمر لا يحتاج إلى بيان. والثانية: أنني لم أدرس الأدب دراسة منهجية علمية تتناول تاريخه وتحليله ونقده، وإلى هذا السبب- لا إلى التواضع- يعود إحجامي فيما يجري معي من مقابلات أدبية عن الإدلاء بأحكام نقدية حاسمة- تمس شعراء معينين أو فترة تاريخية معينة، لقد كنت وما أزال قارئاً عادياً يتأثر بعفوية، ويحكم بعفوية، لا ناقداً يؤصل وينظر. والثالثة: أنني لم أقرأ الشعر قراءة الباحث المستقصي المتتبع ولا أدعي كما يفعل بعض الشعراء أنني قرأت لكل شاعر عربي، ولا أدعي أنني أقرأ اليوم كل ديوان تدفع به المطابع في العالم العربي إلى الأسواق والرابعة: أنني لم أتمكن من تذوق أي شعر غير الشعر العربي، لقد قرأت بالإنجليزية مئات الروايات والقصص إلا أنني لم أقرأ من الدواوين إلا من مجموعة تعد على أصابع اليدين ولا تتجاوز رحلتي في الشعر الإنجليزي شذرات ومقطوعات من هنا وهناك لشعراء قلائل هم: شكسبير وبيرون وشيلي وجريفز، أما خارج الشعر الإنجليزي فتقتصر قراءاتي على قصائد مترجمة إلى العربية أو الإنجليزية من الشعر الألماني والصيني والهندي والفارسي والياباني والأسباني وهي في مجموعها أهزل من أن تعد إماماً بالشعر العالمي¹⁵².

قد علمنا مما مضى أن الله تعالى قد أعطى غازي القصيبي مقدرة عظيمة وقدرة خارقة في اللغة العربية، امتلك على ناصية هذه اللغة الكريمة الفاضلة بفضل الله تعالى وجهوده الدائبة، وبعد أن تضيع منها وتمهر فيها، استغل هذه اللغة الجميلة خير استغلال، واستخدمها في خدمة العلوم والمعارف

¹⁵² - غازي القصيبي ، سيرة شعرية ، ج 1 ، ص 36.

وخدمة الإنسانية المتعطشة إلى الهداية والرشد، وكتب فيها مؤلفات قشبية ذات الخصائص والمكانة العالية، وإنها ما زالت ولا تزال تروى غلة العاطشين إلى المعرفة وتخدم العلم والإنسانية، وتتميز مؤلفاته بتحليل الأوضاع والقضايا الإدارية، وتقديم الفكرة الصالحة تجاهها، وقد وصل عدد مؤلفاته إلى أكثر من ستين مؤلفاً، وهي ما بين الروايات والدواوين والكتب الفكرية، وهناك سوف نأتي بذكر بعض منها، وهي فيما يلي:

1. حياة في الإدارة، (سيرة) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وهي تحتوي على نحو 309 صفحة.
2. العصفورية، (رواية) تم طبعها من دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1996م، وهي تحتوي على 303 صفحة.
3. شقة الحرية، (رواية) تم طبعها من رياض الريس للكتب و النشر، لندن و بيروت، الطبعة الخامسة، 1994م، وهي تحتوي على 463 صفحة.
4. أبو شلاخ البرمائي، (رواية) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة السابعة، عام 2011م، وهي تحتوي على نحو 275 صفحة.
5. حكاية حب، (رواية) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وهي تحتوي على نحو 120 صفحة.
6. الجنية، (حكاية) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وهي تحتوي على نحو 239 صفحة.
7. دنسكو، (رواية) تم طبعها من دار الساقى، بيروت، الطبعة الثانية، عام 2000م، وهي تحتوي على 174 صفحة.

8. سعادة السفير، (رواية) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عام 2003م، وهي تحتوي على نحو 175 صفحة.
9. سلعى، (رواية) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عام 2002م وهي تحتوي على نحو 73 صفحة.
10. سبعة، (رواية) تم طبعها من دار الساقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003م. وهي تحتوي على 340 صفحة.
11. رجل جاء وذهب، (حكاية) تم طبعها من دار الساقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2002م.
12. بيت، (مختارات شعر- نقد أدبي) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عام 2002م وهي تحتوي على نحو 160 صفحة.
13. ثورة في السنة النبوية، تم طبعها من دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى، عام 2003م.
14. في خيمة شاعر المجلد الأول، (أبيات مختارة من الشعر القديم والحديث) تم طبعها من رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى عام 1992م، وهي تحتوي على نحو 187 صفحة.
15. في خيمة شاعر المجلد الثاني، (أبيات مختارة من الشعر القديم والحديث) تم طبعها من رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الأولى عام 1992م، وهي تحتوي على نحو 147 صفحة.
16. العودة سائحا إلى كاليفورنيا، تم طبعها من دار الساقى، بيروت، الطبعة الثانية، عام 1997م، وهي تحتوي على 62 صفحة.
17. سيرة شعرية المجلد الأول، (سيرة) تم طبعها من دارتهامة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، عام 1988م.

18. سيرة شعرية المجلد الثاني، (سيرة) تم طبعها من دار تهامة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، عام 1996م.
19. الوزير المرافق، (سيرة) تم طبعها من رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، عام 2011م، وهي تحتوي على نحو 211 صفحة.
20. المجموعة الشعرية الكاملة، تم طبعها من دار تهامة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، عام 1988م، وهي تضم سبعة دواوين كما تلي:
1. أشعار من جزائر اللؤلؤ.
 2. قطرات من ظمأ.
 3. معركة بلا رؤية.
 4. أبيات غزل.
 5. أنت الرياض.
 6. الحمى.
 7. العودة إلى الأماكن القديمة.
21. ورود على ضفائر سناء، (ديوان) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام 1989م.
22. عقد من الحجارة، (ديوان) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1991م.
23. مرثية فارس سابق، (ديوان) تم طبعه من دار تهامة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، عام 1992م.

24. واللون عن الأوراد، (ديوان) تم طبعه من داررياض الرئيس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1995م.
25. سحيم، (ديوان) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام 1997م.
26. قراءة في وجه لندن، (ديوان) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1997م.
27. في رأي المتواضع، تم طبعه من دارتهامة، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، عام 1983م.
28. المزيد من رأي المتواضع، تم طبعه من دار الرفاعي، الرياض، السعودية.
29. قصائد مختارة، تم طبعها من دار الفيصل الثقافية، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، عام 1980م.
30. قصائد أعجبتني، تم طبعها من دارثقيف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، عام 1982م.
31. الإلمام بغزل الفقهاء الأعلام، تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1996م.
32. عن هذا وذاك، تم طبعه من دارتهامة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، عام 1981م.
33. التنمية وجهها لوجه، تم طبعه من دارتهامة، جدة، السعودية، الطبعة الثانية، عام 1989م.
34. الغزو الثقافي ومقالات أخرى، (مقالات) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1991م.
35. صوت من الخليج، (مقالات) تم طبعها من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

36. مع ناجي ومعها، (نقد) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1999م.
37. الخليج يتحدث شعرا ونثرا، (نقد)، تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
38. الأسطورة (ديانا) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة 2006م.
39. التنمية الأسئلة الكبرى، (بحث) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
40. أمريكا والسعودية، (فكر سياسي) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
41. الأشج، (شعر) تم طبعه من المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
42. عن قبيلتي أحدثكم، (مجموعة مقالات) منشورات الزمان، لندن، الطبعة الأولى، يوليو 2001م.
43. المواسم، (مجموعة مقالات) دامه للدراسات الإعلامية والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 2006م.

هذه هي التي وقعت عليها أعيننا و مستها أيدينا من مؤلفات غازي القصيبي و ذلك بعد الجهود الجبارة المتواصلة المستمرة نحو عام خلال تجوالي العديد في المكتبات المختلفة بالهند وتصفحى عبر الإنترنت باحثا عن كتبه و دواوينه و مقالاته لإعداد هذه الرسالة و كتابتها. و قد رأيت ذكر هذه الكتب والمقالات والدواوين مناسبا لهذا الباب الذى هو الثانى من هذا المقال المتواضع فأوردت هذه القائمة المذكورة أعلاه لكي تكون نافعة لأولئك الذين سوف يقومون بالبحث حول أي جانب من جوانب مؤلفات صاحبنا الكاتب الشاعر الروائي ولكي تصير عوننا له في البحث عن المصادر والمراجع. و على هذا أختتم هذا

الباب سائلا من الله عز و جل أن يجعل أمري آتيا سهلا يسيرا و يوفقني من عنده أحسن التوفيق والله
هو المستعان الموفق و عنده حسن المآب.

الباب الثالث

تحليل صورة المرأة في روايات غازي عبدالرحمن

القصبي

الفصل الأول: المرأة وحضورها الاجتماعي

الفصل الثاني: المرأة والسياسة

الفصل الثالث: المرأة والفكر

الفصل الأول

المرأة وحضورها الاجتماعي

تناول القصبي في رواياته العديد من القضايا الاجتماعية التي تتعلق بالمرأة مباشرة، وحضورها الاجتماعي، وقد حاول في هذه الروايات أن يوضح صورة المرأة ويظهر مكانتها الاجتماعية، ويبين قدراتها في مساهمة الرجل في الكثير من الأعمال الحياتية، سواء كانت المرأة العربية بشكل عام أو السعودية بشكل خاص، وقد أشار القصبي إلى معاملها إنسانياً ومحاولة إنصافها بالرجل، وفتح لها باب التعليم بدون الاعتناء بالضغوطات المتزايدة في المجتمع الذي توجد فيه تقاليد القديمة وعاداته المتنوعة.

وقد ذكر غازي القصبي في رواياته المرأة التي تكتشف للواقع المعيش في البلاد السعودية، وتريد حب الرجل لها وتستسلم له نفسها في أكثر المواقف، كما تعبر المرأة عن تحولات خاصة في الساحة الاجتماعية السعودية، ومدى انعكاسها على الواقع والشوق إلى الحرية والتحرر من الضوابط الاجتماعية الظالمة في حقها.

إن المرأة لها علاقة وطيدة بالرواية من حيث علاقتها بالزمان والمكان والراوي، نحن نجد فيها المرأة الفنتازية، وكذلك في صورة الزوجة، والحببية، والسياسية، والمرأة المثقفة، كما جاءت فيها المرأة المتعلمة ولديها القدرة على أن تدير الأمور الصعبة وتواجه المشاكل والمصائب في حياتها اليومية، والمرأة المناضلة، حتى جاءت المرأة البغي والمومس.

وقد توجه الدكتور غازي القصبي في رواياته إلى توضيح المرأة العربية التي لها حضور اجتماعي بقدر وافر، وخاصة المرأة السعودية، التي لا تحتل مكانة مرموقة في المجتمع، وهي خاضعة للتقاليد

والعادات المتنوعة المتروجة في المجتمع. وحاول القصبي في أكثر رواياته في كشف المرأة وارتباطها بمواقف عديدة في الجوانب الاجتماعية والوطنية والسياسية وغيرها.

يتضح حضور المرأة الاجتماعي في العديد من روايات القصبي كأمثال رواية سلى، وهما، ورواية 7، والجنية، وسعادة السفير، وحكاية حب، ورجل جاء.. وذهب، وغيرها. وسألقي الضوء على واقع المرأة وحضورها الاجتماعي من خلال شخصيات عديدة في روايات غازي القصبي، على سبيل المثال شخصية روضة في رواية "رجل جاء.. وذهب" وشخصية سلى في رواية "سلى" وغيرهما.

" المرأة الحبيبة "

أوضح القصبي علاقة المرأة الحبيبة مع الرجل. وهي علاقة حميمة ومتبادلة بين الرجال والنساء، وتتضح هذه العلاقة المتينة الحميمة بين يعقوب العريان وحببته روضة في روايته "رجل جاء.. وذهب". وهذه الرواية تكشف عن حد العلاقة الوطيدة التي ليست خاضعة للقوانين الاجتماعية والتقاليد القديمة، وحد دور الحبيبة في الحصول على الرجل وامتلاكه بكل معنى الكلمة، تقول الساردة: "لم يكن ليعقوب العريان رأي في التطورات، أخذته إلى منزلي، ومشيت معه على الشاطئ وأمسكت بيده، واقتربت منه، وقبلته، كان يستسلم لكل ما أفعله بسعادة طفل ماسوشي، طفلي/عبدي!..."¹⁵³.

إن روضة التي هي حبيبة العريان تتحكم في زمام العلاقة الأساسية بينهما، وتتخذ القرار في نهاية المطاف، والعريان هو لا يجد القدرة على أن يفعل شيئاً إلا أن يتقبل هذه العلاقة ويخضع لها وشروط الزوجة بكل يسر وسهولة، فلا يستطيع أن يقاوم ما حدث بل يجب عليه قبول قوانينها مهما كانت، فهي

¹⁵³ - غازي القصبي ، رجل جاء... وذهب ، ص35 - الطبعة الأولى ، 2002 ، دار الساقى ، بيروت.

تبين واقع حياتها العاطفية لأمها وطبيعة علاقتها الزوجية الجديدة بالتفصيل، فتقول: " قلت لأمي: يجب أن يعرف أنني لن أكرر حياتي مع هادي... ويجب أن يعرف أنني أريد فضاء لنفسي. سوف يبقى منزل الشاطئ لي وحدي، أزوره وحدي، أبقى فيه وحدي، أنام فيه عندما أشاء وحدي، وسوف أبقى مستقلة ماليا، سوف نشترك في عمل تجاري إذا شاء، ولكن سوف يفعل كل منا بريحه ما يريد. .. لم اتخذ أنا القرار. القدر هو الذي دفعني دفعا إلى هذا الزواج، وقبلت قرار القدر، ولكني كنت مصممة على أن أطبع الزواج بطابعي، أصوغه على مثالي أنا، أكون سيدة العلاقة"¹⁵⁴.

وبسبب الأوضاع الصعبة اضطرت روضة على أن تترك زوجها الأول وتتزوج برجل الأعمال الخليجي يعقوب العريان، ولكن ترى أنها ستتزوج وفقا لشروطها وأن يكون هذا الرجل خاضعا لها في كل الأمور. وقد كشف القصبي عن القدرة التي تستطيع بها أن تكون عاشقة ومعشوقه وقادرة على اتخاذ القرار في العلاقة بين الحبيين.

يتضح من هذه المشاهد السردية أن القصبي يعتبر المرأة متمردة ضد تقاليد المجتمع الموروثة وقوانينه القاسية الذي أجبرها على الاختيار وفق العادات والتقاليد الاجتماعية، والالتزام بكل قوانينه دون رغبة أو إرادة منها، ففي نظر القصبي هذه المرأة لا تعتني بهذه القوانين والتقاليد بل تفعل ما تريده، وتختار من تحبه وتعشقه وفقا لمشاعرها وعواطفها بعيدا عن تدخل الآخرين في حياتها وبدون التفكير في العاقبة في المستقبل.

إن هذا الحب، كما يظهر، قد جعل المرأة أن تخالف نظام المجتمع الذي له التقاليد طويلة الأمد وعاداته المتنوعة التي حرمت المرأة من حرية الاختيار، وترفض الواقع المقيد بعادات وتقاليد

¹⁵⁴ - غازي القصبي ، رجل جاء... وذهب ، ص33، 32.

اجتماعية، وتكشف عن مشاعرها وأحاسيسها اتجاه من تحب، كما اتضح من ذلك تلك العلاقة المتينة التي نشأت بين هذا الرجل الثري وتلك الفتاة العربية المتزوجة، التي فضلت ذلك الرجل على الرجل الذي أجبرت عليه عنفا وفقا لتقاليد مجتمعا وعاداته المتنوعة.

قد تكشف هذه الرواية عن تخيلات واعية وواقع المجتمع وتدل على أن القصبي لديه العبقرية الروائية ولديه القدرة الإبداعية، هي تخيلات أخذها القصبي من واقع البيئة السعودية والأماكن المختلفة في البلاد. وأوضح الأوضاع الاجتماعية الموجودة في البلاد منذ أقدم الأيام، وكذلك تناول التقاليد الاجتماعية القديمة والعادات المتنوعة والقوانين المختلفة التي تختص بالدولة، وتكون بعيدا عن التطورات الاجتماعية المتجددة والتغيرات الاجتماعية المتسارعة.

من خلال السرد الروائي نرى أن الفتاة قد خالفت نظام مجتمعا لأنها كانت مضطرة إلى أن تتزوج بالرجل حسب العادات والتقاليد الموروثة لمجتمعا، ولم يكن لها الاختيار في الزواج، بل يكون عليها الضغط للمجتمع وتقاليد وعاداته، فلذا هي تحاول أن تغير تلك العادات والتقاليد الموروثة بدون التفكير في النتائج والعواقب. ولكن المهم هو أن تلك الفتاة قد نجحت في تحقيق هدفها وحصلت على ذلك الرجل "يعقوب العريان" الذي تحبه، ولقد جاء هذا الحب في حياتها بتأثيرات عديدة منذ أن أقدمت على حبه، لأنه يمثل لها الحب، وكل ما عند هذا المحب إنما يترك أو يكشف جانبا من نفسية المرأة عن حبيبها، حتى إنها تتعلق بأبسط الأمور التي تذكرها به عندما يبتعد ذلك المحبوب:

" عندما دخل يعقوب العريان متجر الفندق، في المرة الأولى، فكانت تسير معه رائحة نفاذه، ...

وفي السرير، اكتشفت أن الرائحة تتسرب من كل مسام جسده، فقلت:

. يا رجل! ما اسم العطر الذي تستعمله؟

. دهن العود.

. العود؟ هل هو ماركة فرنسية؟

. هو ماركة هندية

. سافر يعقوب ونسي منديله العابق بدهن العود، وضعته في مكان آمن تحت السرير، في غرفة نومي... وفي كل مرة، انتقل إلى عوالم غربية مليئة بالجمال، والجواري، والقصور، والبخور، وشهريار الذي استسلم لشهرزاد، في الليلة الأولى، ولكنه ترك عطره جاسوسا أمينا ينام تحت سريرها ويحصى عليها حركاتها وسكانها¹⁵⁵.

هذا الحوار الداخلي للشخصية الذي جرى مع نفسها يظهر تخيلات الفتاة وأفكارها، وكان للحب أثر بالغ في نفسها والأمور المتعلقة بها من الأفعال والسلوك والثورة والتمرد. لأن هذا الحب له جوانب كثيرة بين السلبية والإيجابية، وربما يوجد هذا الحب في سياق الحلم الذي يوضح شخصية الإنسان وهمومه وطموحاته، ورغبته في تحقيق أمنياته، هذا الأمر تعبر عنه روضة. " الحلم: جاء الحلم، فأحلامي كلها، غاية في الوضوح، وتفصيله، فالتفاصيل في أحلامي كلها، بالغة الدقة، كنت أمشي على الشاطئ، أمام منزلي الصغير، واستوقفني رجل وسألني عن يقطبي المسجد وتأمه. تعرفت، على وجه اليقين، أنه يعقوب. من دون أن يقدم نفسه. وتأملته وتأملته. كان مختلفا عن الصور الغائمة التي حاول خيالي أن يرسمها...¹⁵⁶.

¹⁵⁵ - غازي القصيبي ، رجل جاء ، وذهب ، ص37.38.

¹⁵⁶ - المصدر السابق ، ص13.

- أسفة، يا رجل سوف أخذك أنا معي، إلى دار سروري أنا.

ثم يقول الراوي مضيفاً إلى:

" ينطلقان في السيارة الصغيرة التي تبتعد عن العاصمة وتزداد سرعتها كلما ابتعدت، تقف السيارة عند منزل صغير... تخرج المفتاح من حقيبة يدها، وتفتح الباب، وتأخذ معها إلى الداخل. يجتازان الجو الصغير والصالون الصغير. وتفتح الباب المؤدي إلى الشرفة الصغيرة. يعبران الشرفة، ويجد نفسه معها، فجأة، يسيران على شاطئ مهجور، يدا بيد، والبدر يطل عليهما والساعة، تقترب من منتصف الليل¹⁵⁷ .

في العبارة المذكورة أعلاه، ينطلقان إلى مكان مهجور في منتصف الليل، وهي سلوك مخالف للواقع. حيث أن الكاتب قدم في أعماله الروائية المرأة التي جعلها ذريعة في تمثيل قضية من القضايا المتعددة والمهمة التي توجد في المجتمع الإنساني، لأنها تلعب دوراً بارزاً في العمل النثري، حيث إن المرأة تعاني واقعا مجتمعياً تقليدياً ومغلقاً.

" المرأة المناضلة "

مثل القصبي في روايته "سلى" المرأة المناضلة، وأبدع في تصويرها فيها. وهذه المرأة المناضلة في صورة سلى فكانت لديها الأفكار الواعية والذكاء التي تحاول بها الدفاع عما تملك. فهي شاهدة وحاضرة ذلك الصراع الدامي الذي يجري بين الأقارب في الأندلس، وتحاول بمفردها الإنقاذ وإعادة الوثام إلى

¹⁵⁷ - غازي القصبي ، حكاية حب ، ص 34.37 ، دار الساقى ، بيروت ، الطبعة السابعة ، عام 2011م.

الأسرة المالكة، وبذلت جهودها في هذا السبيل ولكن الأمر لم يكن سهلا جدا، بل واجهت المشاكل والمصائب، لكنها ما تعبت وحاولت بقدر المستطاع، خوفا من النهاية المتوقعة:

" كان القرار الذي يواجهه سلى قرارا صعبا داميا إلا أنه لم يكن لديها خيار، لا يمكن أن تستقر الأمور في دولة بني الأحمر، وفاطمة على قيد الحياة، .. قررت سلى أنه لا يفيل الحديد إلا الحديد، ولا تفل المؤامرة إلا المؤامرة، ...نجحت سلى بمفردها في خلق جبهة عائلية متماسكة في غرناطة، جبهة يقودها أخوان متحدان¹⁵⁸ .

وقد مثل القصبي صورة أخرى للمرأة المناضلة في روايته "سلى" ، وهي تجسد صورة المرأة سلى أيضا في موقف آخر، ودورها النضالي في العمليات الاستشهادية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فنجد سلى البطولية التي أظهرت شجاعتها أمام المجرم شارون الإرهابي الذي قتل كثيرا من الأطفال والرجال والنساء ولعب دوره الكبير في تدمير الأراضي الفلسطينية، فهي تحاول أن تتخلص من هذا الطاغية الخطير، وأظهرت دورها البطولي أمامه. وقد جمعت هذه البطلة في داخلها الشجاعة لكي تصل إلى هذا المجرم وتقتله وتخلص الأمة من أفعاله الإجرامية التي ارتكبها في بلاد العرب والمسلمين:

" تقف سلى في زى نقيب في قوة الدفاع الإسرائيلية تثرع زملائها وزميلاتها، فجأة، تدب الحركة، ويصرخ العقيد، قائد الوحدة، وتنتصب سلى، كبقية الزملاء والزميلات، مؤدية التحية العسكرية... يقف أمام سلى، ويتسمم، وتبادلته سلى الابتسامة..

- هل ولدت في إسرائيل ؟

- وترد سلى بخجل:

¹⁵⁸ - غازي القصبي ، سلى ، ص29، 28.

- نعم، سيدي الجنرال! يمنحها رئيس الوزراء ابتسامة أخرى، قبل أن ينتقل ليتحدث مع الضابط الذي يقف بقربها¹⁵⁹.

هذا السفاح المجرم كان قائماً أمام جنوده وهو يستعرض قوة إسرائيل والدفاع عن الوطن وموطن اليهود، يدور في ذهن سلمي تاريخ هذا المجرم الذي هو قاتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ وكذلك تدور في ذهنها صورة أفعاله المروعة والمجازر التي ارتكبتها، ولكنها لا تظهر غضبها وحقدتها لهذا المجرم الذي كان موجوداً في قلبها، بل تمكنت من كتمانها حتى النهاية. وهذا المجرم القاتل ينهك في تشجيع جنوده على أن يقوموا بحماية إسرائيل واليهود والدفاع عن الوطن، فاستقبله الجنود بأذرع مفتوحة، فتذهب البطلة سلمي إلى شارون عندما رأته بعيداً عن الجيوش وتقول: "سيدي الجنرال! هل أطمع في توقيعك؟ يرد شارون مبتسماً: بكل سرور.

تقدم سلمي دفتر الأوتوغراف الصغير إلى رئيس الوزراء الذي يوقع، ويملاً صفحة كاملة تنظر إليه سلمي بإغراء، وتقول: أشكرك، سيدي الجنرال! والآن هل تسمح لي بتقبيلك على وجنتيك؟ يضحك الجنرال ويقول:..لما لا؟ أنت في سن حفيدتي.

تدنو سلمي،س وتطوق بيدها اليمنى عنق الجنرال ويدها اليسرى تضغط على الزر، قبل أن يتوقف قلب سلمي عن النبض، ترى جسد السفاح يتناثر قطعاً في الهواء، ومعه قطع من جسدها¹⁶⁰. يظهر من هذا الحوار الذي يجري بين سلمي والجنرال أن هناك علاقة مبطنه بينهما كما تبدو في الظاهر جيدة، ولكنها في الحقيقة هي علاقة عداوة وانتقام.

¹⁵⁹ - المصدر السابق ، 65.

¹⁶⁰ - المصدر السابق ، ص70.

" المرأة الأمية "

قد حاول القصيبي أيضا في تمثيل صورة المرأة الأمية من خلال رواياته، وهي المرأة التي ليست لها أي حق للحصول على التعليم مثل البنين، والسبب ذلك يرجع إلى التقاليد القديمة والعادات المتنوعة الموجودة في المملكة العربية السعودية التي لا تهتم بتعليم المرأة، وأنها خلقت للاحتفاظ بالبيت وتربية الأطفال. ولا ينبغي لها الخروج من البيت للذهاب إلى المدرسة للحصول على التعليم. كما يقول د. بكري شيخ أمين عن هذا الصدد:

"سبب ذلك يرتد إلى عاملين: ديني، نشأ من تراكم الأضاليل على جوهر الشريعة، ومما اعتقده كثير من الجهال أن تعليم البنات يؤدي بهن إلى الاثم والحرام. واجتماعي، نشأ من النظرة الخاصة إلى المرأة، وأنها خلقت للبيت، ولخدمة أهواء الرجل، وتلبية رغباته، وأن كل تعليم مفسد لها"¹⁶¹.

جاءت هذه المرأة الأمية في صورة مريم وهي ابنة عم الرجل الذي يرى أنه كان مضطرا على الزواج منها لأن أبوه كان يريد أن يفعل هكذا، ولأن والده قد غضب عليه في امتناعه عن الزواج منها، ولكنه يرى أن زواجه لا يدوم طويلا لأنه هو لا يليق به، خاصة أنه الشاب المتعلم المثقف الذي يريد زوجة متعلمة كمثلها. ولكن بعد وفات والده جاءت مفاجأة لم تخطر بباله حيث طلب أخواه ماجد و حامد رؤيته على انفراد، وكانت لديهما الوصية التي كتبها والده قبل وفاته بأسابيع قليلة، والتي ذكر فيها أبوه عن رغبته في زواجه من مريم التي كانت ابنة أخيه اليتيمة ونشأت تحت رعاية والده، وعندما سمع هذه الوصية لوالده فانفجر غضبا وقال على الفور:

¹⁶¹ - د. بكري شيخ أمين ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص153.

" أنا أتزوج مريم؟! هذه الطفلة الأمية؟ لن أتزوجها!... كان بالإمكان أن تنجح التجربة لو أنني أوتيت قدرا أكبر من الصبر، ولو أن مريم رزقت بشئ من روح المغامرة وفي غياب هذين العاملين كان الفشل مصير الزواج المحتوم"¹⁶².

إن المرأة هي جزء خاص لروايات غازي القصيبي، لأنها - بنماذجها الاجتماعية المختلفة - قد لعبت دورا مهما في تجسيد رؤية الكاتب في الأعمال الروائية الكثيرة. لأن هذه الصورة للمرأة أظهرت فكرة و رؤية القصيبي في الكثير من الأمور التي يطرحها أمام المتلقي.

" المرأة البغي "

قدم القصيبي في رواياته المرأة في صورة عديدة منها المرأة البغي وهي المرأة التي تذهب إلى المرء وتبيع جسدها وحرمتها وكرامتها للحصول على الأموال، وتريد أن تحقق رغباتها وإن كان ذلك على حساب حرمتها وكرامتها وشرفها.

تناول القصيبي تلك المرأة في شخصية جلنار في روايته (7) التي تباع جسدها للحصول على الأموال من جماعة من الرجال (وهم الرجال السبعة) الذين يريدون أن يحصلوا على جسدها، لأنهم يمتلكون الأموال والثروة ولديهم القدرة والسلطة وهم من نخبة الأمة العربية.

في رواية (7)، تمتلك المرأة البغي "جلنار" القدرة للإغراء والإغواء، من خلال مواصفاتها الجميلة، وهي تثير بها هولاء النخبة من الرجال. وعندما ينظرون إليها وجمالها يطعمون في الحصول على جسدها

¹⁶² - غازي القصيبي ، الجنية ، ص 201.200.

ويركضون خلفها لتلبية رغباتهم، ويستعدون لدفع الثمن لها مهما كان. وهنا نذكر ما اعترفت به جلنار حول هذا الأمر الذي مرت به في حياتها:

" رجالى الذين يشتهونى بعنف، الذين لم يوافقوا على الميىء إلى الجزيرة إلا طمعا فى جسدى، قلت لهم بصراحة، إننى لا أستطيع أن أكون امرأة، مشاعا، لا بد أن أختار واحدا منهم، واحدا فقط، ولا بد أن يكون الأكثر إثارة، ولكى أستطيع أن أختار هذا الرجل لا بد أن يحدثنى كل منهم عن أكثر الأسباب إثارة فى حياته، وسأستمع، وفى الليلة الأخيرة سأعد القرار"¹⁶³.

أختارت جلنار هذه الطريقة وتمكنت من الإثارة، حتى بدأ هولاء النخبة من الرجال يتسابقون فيما بينهم للحصول على جسدها ولأشباع رغباتهم على الرغم من أنهم كانوا من الرجال الذين تكون لديهم متطلبات الحياة اللازمة. ونجحت "جلنار" فى هدفها وتمكنت من أن تغري هولاء الرجال باختيار طريقها الخاص وهو تقديم جسدها وجمالها لهم من خلال شاشة التلفاز وبرامج ثقافية متنوعة، فرأت جلنار هولاء النخبة من الرجال كانوا يتكلمون خلاف ما يبطنون. ولكنها تعلم ما فى قلوبهم من الأسرار والدوافع التى توجد فى مواصفات رجال من البلاد. وهم لا يفيضون بمكنون صدورهم للناس بل تختلف دواخلهم عما يظهرون لهم كما هى تقول:

"ولكن لا توجد نمور فى الجزيرة، لا يوجد سوى (7)، رجال وشاعر يسرق أشعار الآخرين، وفيلسوف يسطو على فلسفة الآخرين، وصحفى يبتز الناس، وطبيب نفسانى يعالج المدمنين، ودجال

يعلم بغلام وردي جني، وتاجر ربح الملايين من بيع اللحم الفاسد، وزعيم يقتل منافسة ويحضر العزاء¹⁶⁴. فيتين هذا السرد صفة الرجال الذين تعاملت معهم جلنار وكلهم يحملون بذرة الفساد.

وكذلك ذكرت "جلنار" العوامل الأخرى في ممارستها البغي منذ فترة ماضية، واجهت "جلنار" في أيام طفولتها كثيرا من المصائب التي لا يجب أحد أن يمر بها ويواجهها في أيام طفولته، وعندما كانت جلنار في خمس سنوات من عمرها، استغل زوج أمها لها جنسيا، وكان لهذه الواقعة أثر بالغ في حياتها، وشكلت حياة الطفولة سلوكها السلبي واختارت تلك الطريقة القبيحة التي تتنافى مع العادات والتقاليد للمجتمع.

اتبعت هذه المرأة أسلوب الإبتزاز واستغلال الآخرين، حيث يستغلونها جنسيا، وهي تصورهم من أجل إثبات كلامها: "ألم ينقذني الإبتزاز من تحرشات زوج أمي؟ عندما كنت في الحادية عشرة وكان جسي في الثامنة عشرة، لم يكف عن التحرش بي إلا عندما صورته مع الخادمة بالكاميرا البدائية، لم أقل له شيئا، ولم يتحرش بي بعدها كان يعرف أن أي محاولة جديدة تعني وصول الصورة إلى أمي"¹⁶⁵.

إن هذه المرأة اختارت الطريقة السلبية وأصبحت المرأة البغي التي تبيع جسدها وشرفها، وقد كانت البيئة الأسرية التي نشأت فيها، سببا لتحولها إلى ذلك، فكانت أمه مطلقة وتزوجت من رجل فاسق كان لديه المال والثروة والمنصب. وهذه المرأة أسهمت في إظهار واقع الرجل الذي يتكون منه نصف المجتمع، ودوره الفاسق في مثل هذه المجتمعات من خلال الرجال السبعة، هذه المرأة قد نجحت في هدفها وتمكنت من إغراء هؤلاء الرجال الذين يملكون الأموال الطائلة والثروات الهائلة ويحوزون على المناصب. كما تمثل هي كثيرا من النساء اللواتي يردن اختيار هذه الطريقة القبيحة ويبحثن عن هذه الرذيلة التي لا يقبلها أي مجتمع.

¹⁶⁴ - المصدر السابق ، ص337.

¹⁶⁵ - المصدر السابق ، ص332-333.

كما أشار القصبي من خلال روايته الجنية، وفي معرض حديثه "تاريخي مع النساء" إلى أن النزوة والطريق الذي يبحث عن العلاقات غير الشرعية كان مرهونا بطبيعة الحياة والظروف الاجتماعية في البلاد السعودية، التي لا تسمح بعلاقات من أي نوع من النساء، وهذا الأمر كان واضحا إلى أن يتوجه الشاب إلى البحث عن العلاقات بكل الطرق والوسائل مهما كلف الثمن.

ولعل الانفتاح على المجتمعات الغربية يتيح ويسمح بممارسة العلاقات مع النساء مفتوح الأبواب، ولذلك وجدت المرأة المومس التي تبيع جسدها مقابل المال، مع أي شخص كان، ويبين السارد لنا على لسان بطل الرواية أسباب اللجوء إلى ممارسة الدعارة مع المومسات، فيقول:

" تاريخي مع النساء عندما حدثت القصة التي أروي لكم وقائعها الغربية، يمكن أن يسجل باختصار شديد، عندما كنت في السعودية لم تكن الظروف العائلية والاجتماعية تسمح بعلاقة من أي نوع مع نساء، باستثناء النظرات الخاطفة.. حتى بنت الجيران الشهيرة لم يكن لي نصيب من رؤيتها.. كان لدي حصيلة هائلة من الأخبار المشوشة، والمعلومات المتضاربة عن النساء، من إنتاج زملاء الدراسة الثانوية.. لم يكن الوضع أفضل كثيرا خلال سنتي الدراسة الأولى في أمريكا، أتيت محملا بكل مخاوف الشاب الشرقي، وخجله وانطوائه.. لا أود للقراء الكرام أن يتصوروا أنني تحولت فجأة إلى دون جوان خطير... في السنة الجامعية الثالثة . أخذت الأمور تتحسن بشكل واضح، تمكنت من تطوير صداقات حقيقية استمرت بعض الوقت وإن كانت لم تصل، قط، إلى مرحلة الصداقة الحصرية (بوي فرند / جيرل فرند، لم تتجاوز المحاولات حدود السيارة الواقفة في طريق العشاق.."¹⁶⁶.

إن المرأة البغي في روايات القصص قد استغلت الرجل للحصول على مرادها، وكان هدفها في ذلك، الدمار والخراب للرجل من أجل الفوز بجسدها، بكل الطرق والوسائل، من إشباع رغباته وشهواته. وكما نجد هذه الصورة للمرأة في صورة شهرزاد في رواية القصص "سعادة السفير".

هذه المرأة "شهرزاد" تمتلك الجمال ونضارة الوجه وتكون مغنية، وبدأ الرجال ينظرون إليها بمواصفاتها الجميلة ويطعمون في الحصول على جسدها، حيث حدث النزاع بين الرجلين السياسيين الحاكمين بأنهما كانا يريدان أن يفوزا بها. وكان اسم الرجلين همام وسعادة السفير. ولكن أخيرا هذه المرأة "شهرزاد" فضلت في انتخابها سعادة السفير على همام، وسعادة السفير كان يرغب بالحصول عليها ولا يريد أن يفوز بها أحد، أو اقترب منها، فانتشر الخبر حتى اطلع على ذلك النزاع، الزعيم الحاكم وأخبر سعادة السفير أنه لا يجوز له الاقتراب من هذه المرأة وينبغي له الابتعاد عنها، لأنها مثل العنزة التي يمتلكها راعيها لا أحد آخر.

قد لعبت هذه المرأة "شهرزاد" دورا كبيرا في إيقاع النزاع والجدال وإثارة العداء بين الحاكمين لأنهما كانا يريدان بالفوز بها، وكانت هي تريد أن تصل إلى هدفها وغايتها، ولو كان على حساب كرامتها وبيع جسدها.

فإن المرأة لها دور كبير في الصراع والعداوة للوصول إلى غايتها وهدفها، وتعتبر الأساس للصراع بين الإنسان وهذه القضية قديمة متعلقة بقضية الصراع لأبناء آدم الذي يبدأ بين الأخوين حول الزواج، وقد حاول الكاتب هنا تجسيد هذه القضية في رواياته من خلال إظهار دورها المهم في خلق مثل هذا الصراع بين البشر وكأن يريد أن يقول إن المرأة هي الأساس للصراع بين البشر منذ القدم.

وكذلك لعبت المرأة دورها الكبير في القتل والدمار، ولهذا الغرض اعتمدت على جمالها وعرضت جسدها للرجال الذين قد يتعاركون من أجلها، ويدفعون الثمن ويدمرون للحصول على امتلاك جسدها بدون الخوف من العواقب والنتائج، فإننا نرى الكاتب يشير إلى ذلك من خلال قول السارد عن نتيجة ذلك الصراع على المرأة، وكيف أن الدوافع الجنسية للباحثين عن الجسد، يدمر الكثير ويحدث صراعا مريرا بين الناس:

" هل يصدق أحد الآن، إذا قلت إن الدكتاتور المعتوه قرر تدمير دولة انتقاما من سفيرها الذي أخذ المرأة منه، أو عتزا كما سماها! وأيهما المعتوه؟ الزعيم الذي حطم دولة من أجل امرأة، أم السفير الذي يعتقد أن سبب الغزو علاقته بصديقة الزعيم...¹⁶⁷ .

" المرأة الأم "

تحتل الأم مكانة مرموقة بين الناس، وظلت تلعب دورا حاسما في تكوين الأسرة والمجتمع عبر العصور، فهي رمز الأسرة، وهي تستحق بالتكريم والاحترام، كما أمر الله بذلك في كلامه المجيد: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"¹⁶⁸ . فنجد هذه الصورة للمرأة الأم في رواية غازي القصيبي "شقة الحرية" التي تجسدت بأمر فؤاد، حيث يصور الكاتب أم فؤاد، وأحوالها عندما أراد هذا الطالب أن يذهب إلى الخارج طلبا للعلم، وكيف أصبحت هذه الأم سببا لخوف حقيقي على ابنها. وهناك يصور الكاتب تلك المرأة و دورها الحاسم في

¹⁶⁷ - غازي القصيبي ، سعادة السفير ، ص 177.

¹⁶⁸ - سورة بنى اسرائيل ، 23، 24.

رعاية أسرتها، وكيفية اضطرابها في المحافظة على ابنها، وهي تخاف عليه أن لا يعثر ولا يواجه المشاكل من الأيام، لأنه كان كطفل صغير في نظرها، ولا يستطيع أن يذهب إلى الخارج، ويعيش بمفرده دونها.

وكان الطفل الصغير في نظر أمها، كما يثبت ذلك الموقف كلامه عندما أراد السفر: "يستغرب فؤاد كيف تمكن من مفارقة أمه، لا يدري كيف ستكون حياته من دونها، بدون بسمتها في الصباح ورعايتها طيلة النهار، وأقاصيصها في المساء، كان تدليل أمه له مثار التعليمات السافرة في المنزل حتى من أبيه، الذي كان نادرا ما يخرج، يخيل إلى فؤاد أن أمه تزداد في تدليله كلما كبر، الصغير المفضل، آخر العنقود، يظن أحيانا أن أمه تتصور أنه لم يتجاوز الخامسة، ولن يتجاوزها، وأن قامته التي وصلت إلى ستة أقدام ليست سوى ستارة خادعة يختفي تحتها طفلها الصغير: فؤاد"¹⁶⁹.

ثم يكشف السارد عن الجدل الذي يدور بين الأم والأب حول سفر فؤاد من خلال الحوار الذي يدور بينهما لينتهي بحزم الأب على سفر فؤاد:

- أبا ناصر، كيف تترك فؤاد يسافر بمفرده على الطائرة؟ ويعيش بمفرده في مصر؟

- فؤاد أصبح رجلا.

- رجلا! لا يزال طفلا في الثالثة عشرة.

- يا امرأة! هل يصغر ابنك أم يكبر؟ بعد قليل سوف يصل إلى السابعة عشرة، إن لم يكن

وصلها، هل نسيت أنني تزوجتك عندما كنت أصغر منه؟

- ولكن يا أبا ناصر...

¹⁶⁹ - غازي القصبي ، شقة الحرية ، ص22.

. الموضوع انتهى، سوف يسافر بمفرده.

. الله يفتحها في وجهك يا أبوي!

. تسري الطمأنينة في عروقه، ما أجمل التعبير "يفتحها في وجهك" يفتح ماذا؟ الدسنيا، القاهرة،

الدراسة، أبواب المستقبل، كل هذه الأشياء ستفتح في وجهه¹⁷⁰.

هذه المرأة الأم تظهر في هذا المنظر كرمز من العطاء والمحافظة لأبنائها، وهي تحبهم بدون غرض من الأغراض في الحياة، وهي أساس وركيزة الأسرة بل المجتمع بأكمله، وتضحي بمسرتها وتفعل كل ما تستطيع في سبيل مصلحة أبنائها ولا تعتني بالعاقبة، وتكون مستعدة كل الوقت لمحافظة على أبنائها ولو كان حساب حياتها. وكذلك يمكن الإشارة إلى أننا نجد أيضا نموذجا آخر للمرأة الأم في رواية القصبي "سلى" في المرأة العجوز "سلى".

" المرأة المثقفة "

نجد المرأة المثقفة في رواية القصبي "هما" حيث توضح المرأة المثقفة جوانب النزاع والصراع الذي يقع بين الرجل والمرأة في الحياة، ودور المرأة في نصرتها اجتماعيا، وهي قضية كبيرة توجد في البلاد، وقد حاول الكاتب تقديم المرأة التي تمتلك الثقافة الواسعة وتؤدي دورا كبيرا في الدفاع عن نفسها و اسرتها وبنات عصرها. كما تتضح هذه الصورة من ثقافتها الواسعة وقدرتها على الدفاع عن المرأة الأخرى إلى جانب اسرتها من تلك الحوار التالي الذي يجري بين المرأة والرجل:

" هي: سيدي! سيدي! سيدي!

هو: عفوا! نعم!

هي: سيدي الممثل الكبير! سيدي المثقف الكبير! سيدي المفكر الكبير! أستاذي.

هو: حسبك! وصلت الرسالة!

هي: ألا تنوي، يا سيدي، أن تنزل قليلا إلى هذه الأرض؟ ألا تنوي، يا سيدي أن تتعرف على الجنس البشري؟ كلمة رائعة! جملة رائعة! قمة الهجاء! قمة الغزل! سيدي! سيدي! سيدي! ألا تنوي أن تزيل الحاجب الذي يفصلك عن البشر؟¹⁷¹.

يتضح من هذا الحوار بينهما أن المرأة قد حاولت أن تبين بأنها امرأة مثقفة اجتماعيا وسياسيا أمام الرجل الذي يفهم نفسه متفوقا على المرأة في جميع المجالات من الحياة ولا يعترف بقدرتها ودورها في الأمور التي يشارك فيها الرجل والمرأة كلاهما.

قد حاول القصبي في هذا المكان تقديم هذه المرأة بهذه الصورة التي تحمل فكر المرأة المثقفة الواعية التي تلعب دورا مهما وكبيرا في المجتمع. هذه المرأة بصفتها امرأة مثقفة واعية تمثل الجيل الجديد الواعي في المجالات المتنوعة للحياة، وتحمي نفسها واسرتها والجيل المتعلم الذي يلعب دورا كبيرا في حركة التطورات الثقافية في البلاد السعودية وغيرها، وتلك التغيرات التي طرأت على وضع المرأة العربية السعودية بشكل خاص، فهذه المرأة متعلمة ومثقفة مناضلة في الدفاع عن شرفها وحرمتها ورافضة القيم القديمة المزروعة في أذهان الرجل عن المرأة ودورها وقيمتها في الحياة التي لم تكن تتجاوز مهام بسيطة داخل المنزل.

¹⁷¹ - غازي القصبي ، هما ، ص 24.

" المرأة الزوجة "

تلعب المرأة الزوجة دورها الكبير في حياة زوجها كما تناول القصصي أيضا هذه الصورة للمرأة في رواياته، والعلاقات المتينة التي تكون الرابط الصادق بينهما. لأن الرجل يحبها حبا جما ويقدم لها كل ما يملك به من الحياة والأموال والمسكن الذي يسكن هو فيه مع زوجته وأبناءه، ويريد أن تكون زوجته معه في الأسفار إلى البلدان، ومهما طالبت به الأسفار، وإذا تحل به مصيبة أو يواجه مشاكل لا يحب أن يظهرها أمامها وأبناءها الصغار من أجل سعادتها، وعندما تكون هي بعيدة عنه تشعر بالقلق.

إن المرأة هي محامية الرجل وتفكر فيه وتشعر بالقلق من فراقه، كما جاءت هذه المرءة الزوجة في صورة زوجة البطل يعقوب العريان الذي كان في البلاد الأخرى للعلاج بعيدا عن زوجته وابناءه، ويظل فيها مدة طويلة حتى تشعر زوجته بالقلق وتظن أنه ذهب إلى الخارج لأجل مهمة عمل حكومية رسمية، كما قد قال لها، ولكنه لم يخبرها عن مرضه. ولكن عندما أصبح سفره طويلا، بدأت تشعر بالقلق وهي لا تتطلع على الحقيقة، وهناك في الخارج يبحث عن الطريق الذي يقنع به زوجته وأولاده، ويرسل إليها رسائل متعددة لإظهاره الكثير من شوقه وحبه إليها، وإلى أطفاله الصغار.

وكذلك أخبر هذا الرجل زوجته عبر الرسائل عن الأحوال المؤلمة المتعلقة بالبلاد العربية، وحاول الكاتب من خلال المشاهد السردية والشخصيات أن يبين رؤيته الفكرية والحالة المؤلمة له وللأمة العربية كلها، وذلك لأنه كان هذا الرجل الذي أصابه داء عضال وانقطع الأمل لحياته، متمددا على السرير في مستشفى أمريكا بعيدا عن زوجته وأطفاله وأصدقائه وأحبائه، لأنه كان يخاوف على أن يتأثروا بما أصابه من المرض الذي لا ينتهي إلا بعد الموت.

تمثل القصصي ذلك التصوير من خلال روايته " الزهايمر". وهذه الرواية مشتملة على اثنتي عشرة رسالة، وقد تحدث الكاتب في الرسالة الأولى عن المرض القاتل الذي أصيب به وأحواله السيئة وإخفائه ذلك عن زوجته من زمن بعيد: "كان علي أن أخبرك بما حدث بمجرد علمي، ومتى علمت ؟ قبل شهر، أو ربما قبل سنة، التفاصيل الصغيرة بدأت تضع، وقريبا ستضيع التفاصيل الكبيرة، أه! هل يمكن أن تكون التفاصيل وتظل مجرد بفاصيل؟"¹⁷².

وهذه الرسائل التي تم إرسالها من زوج إلى الزوجة ليست سيرة ذاتية بل هي رسائل من الزوج إلى الزوجة، كما يقول القصصي: "هذه لسيت سيرة ذاتية، هذه رسائل من زوج إلى زوجته"¹⁷³. كما يمكن أن نعلم القدرة العقلية البارعة للكاتب من خلال المشاهد السردية، وهو قادر على أن يتحدث عن نفسه والأحوال المؤلمة للأمة العربية كلها على لسان بطله.

وهاجم القصصي في موضع آخر من هذه الرواية التقاليد الموروثة والعادات المتنوعة والقوانين الصارمة للمجتمع التي لاتسمح لأحد بأن يفعل شيئا وفق مشاعره وإحساسه خاصة في أمور الزواج. وذكر القصصي في ذلك الموضع زواجه، بأنه تزوج وفق التقاليد والعادات والقوانين للمجتمع: " تزوجت للمرة الأولى وأنا صبي من بنت عمي، وهي بدورها صبية، وكان القرار من والدها ووالدي...."¹⁷⁴.

فنحن نرى من خلال هذه الرواية مشاعر ذلك الإنسان وإحساسه وأحواله المؤلمة الذي أجبره مرضه القاتل على أن يكون وحيدا وبعيدا عن زوجته وأطفاله وأصدقائه وهو منتظر للموت المؤكد متمددا على السرير في المستشفى، لأنه قد علم بأنه أصيب به مرض لا يمكن التخلص منه إلا بعد الموت.

¹⁷² -غازي القصصي ، الزهايمر ، ص7 ، الطبعة الأولى ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2010.

¹⁷³ -المصدر السابق ، ص31.

¹⁷⁴ -المصدر السابق ، ص88،89.

بهذا فإن للمرأة حضورا اجتماعيا واسعا في روايات الكاتب، فهي الأم التي تعطي وتضحي من أجل أبنائها، وهي فيض الحنان والدفء ونبع السكينة للزوج، وهي العاملة والمربية، كما كانت الحبيبة المخلصة لحبيبها، والمثقفة واسعة المعرفة، وصاحبة الرأي الرصين والحنكة الكبيرة في الدفاع عن جنسها بكل الطرق والوسائل والقوانين، والوقوف في وجه الرجل المستبد الذي يدعي المعرفة الكاملة والوحيدة له، حيث أظهر لنا الكاتب الجانب السلبي للمرأة أيضا في مواقف أخرى كالمرأة البغي والمومس التي أرادت أن تصل إلى مرادها وهدفها ولو كان ذلك على حساب كرامتها.

الفصل الثاني

المرأة والسياسة

إن نصف المجتمع يتكون من المرأة، وبدون وجود المرأة لا يمكن تصور أي مجتمع بكونها جزءاً لازماً له، ولكنها مع هذا لا تشارك في الأعمال السياسية إلا قليلاً في المجتمع العربي وخاصة في المملكة العربية السعودية، والسبب ذلك يعود إلى أنها تعتبر ضعيفة وغير قادرة على تحمل المسؤولية، وأنها تفكر بقلها لا بعقلها، وكذلك هذا أمر واضح أن الرجل هو قوي أكثر من المرأة في تحمل المسؤولية المتعلقة بالأمر الديني من الأعمال السياسية واكتساب الرزاق والمعاش وغيرها. كما قال الله تعالى في القرآن المجيد: "الرجال قوامون على النساء". وأن العمل السياسي مرتبط بالرجل أكثر من المرأة وغير ذلك.

قد لعبت الأوضاع دوراً كبيراً في إبعاد المرأة عن الساحة السياسية والمشاركة فيها، وكذلك العادات المتنوعة والتقاليد الموروثة تسببت بعدم مشاركتها في المجال السياسي في الكثير من البلاد العربية. ولكن مضت تلك الأيام وأصبحت الأوضاع السياسية والاجتماعية تتغير شيئاً فشيئاً وكذلك جاءت التطورات الحديثة المتسارعة، واستطاعت المرأة أن تشارك في الأعمال السياسية في بعض البلاد العربية ولو بمستوى قليل، وقد ساعد على ذلك الكثير من السياسيين وغيرهم من الذين يؤيدونها ويدافعون عن حقوقها في التغيير في كل المجالات الاجتماعية.

وكان للروائيين نصيب واضح في ذلك الإسهام، منهم غازي عبد الرحمن القصيبي الذي يعد من أحد الروائيين السعوديين المبدعين في المجال الروائي. توجد في رواياته السياسة والقضايا الاجتماعية المختلفة. وكذلك القصيبي تناول فيها المرأة السياسية التي أظهرت قدرات مشاركتها في الأعمال السياسية.

فقد رفع القصبي الصوت ضد التقاليد الموروثة والقيود الاجتماعية التي تتسبب للمرأة عن عدم مشاركتها في الأعمال السياسية وفي الأعمال الأخرى التي تربط بالرجال. وفتح باب التعليم لها في جميع المجالات، وقد أثمرت ذلك النداء مؤخرًا، عندما جاء الإعلان من جانب الملك عبدالله بن عبد العزيز عن المشاركة للمرأة السعودية في المجالات السياسية، وفتح باب المجالس البلدية ومجلس الشورى لكي تشارك فيها المرأة السعودية.

"سلمى"

هذه الرواية "سلمى" رواية شهيرة للقصبي في إبراز العنصر النسوي السياسي، ويمثل الكاتب سلمى في الرواية كبطلية، وهي المرأة السياسية والمثقفة التي توجد فيها الصداقة للوطن. وقد اتخذها الكاتب وسيلة إلى تقديم رؤيته وسعى أن يقدم العديد من القضايا لتغيير الكثير من الأمور الاجتماعية. وحاول القصبي أن يبرز دور المرأة السياسي الفعال الكبير في المشاركة.

قد حاول القصبي تقديم رؤيته في الرواية من خلال هذه المرأة المتعلمة والمثقفة "سلمى". وهذه الرواية تتكون من حوار طويل في كل مقاطعها، بين سليم وأمه العجوز (سلمى)، ويظهر لنا أيضا الراوي الآخر وهو المذيع الذي يقدم معلومات تخدم وجهة نظر السارد، حيث يظهر أحداث تاريخية عربية وقعت من الأندلس إلى مصر فبلاد الشام. وتقول سلمى لابنها أن يجيء بالمذيع، وهي تستمع من خلاله إلى تلك الويلات المفزعة في التاريخ العربي.

فإن البطلية "سلمى" قد لعبت دورها الكبير كزعيمة كما ظهرت هي في صورة المرأة القيادية في المقطع الأول من الرواية في الدولة المصرية، وهي مديرة المخبرات أيام جمال عبد الناصر، وهي امرأة لديها القدرة على تحمل المسؤولية من الأعمال السياسية، وتمتلك صفات سياسية، وهي امرأة ذكية و

بعيدة النظر وهي تفكر في الأمور السياسية والأحداث وتستطيع أن تدرك ما يحصل من نتائج مستقبلا، ولكن بطبيعة المعاملة العربية مع المرأة، لم يكن هناك أحد أن يسمع قولها ويؤيد برأيها وتفكيرها وتجربتها السياسية، فجاءت النتيجة، بعدم الاهتمام بكل صفاتها السياسية، في صورة الهزيمة.

قد حاول القصيبي من خلال هذه المرأة السياسية "سلى" أن يبين أحلامه وآماله المنشودة، وما يراه في الساحة العربية المعاصرة، والتقاليد الموروثة والقوانين الصارمة التي لا تسمح للمرأة بالمشاركة في الأعمال السياسية وتقف ضدها. ويظهر واقع المرأة السياسي من خلال الحوارات التي تدور بين سلى التي هي مديرة المخابرات المصرية، ورئيس الدولة. كما في الحوار التالي:

" سيادة الرئيس! هل نسيت أنني مديرة المخابرات العامة؟!

- كيف أنسى؟ ألم أكن أنا الذي عينتك؟! ألم يستغرب العالم كله قراري بتعيين امرأة في هذا

المنصب الحساس؟ هل تذكرين ما كتبته الصحف البريطانية؟

- اعتبرت القرار ضربية من ضربات الدهاء السياسي. المرأة أكثر وفاء من أي رجل، وأقل خطرا

على النظام من أي رجل.

- قد يكون هذا صحيحا. ولكنني لم أخترك لأنك امرأة. اخترتك لكفاءتك النادرة.

يحمر وجه سلى وهي تسمع هذا الإطراء النادر من الرئيس، وتقول:

سيادة الرئيس! وحن الوقت لكي تستفيد من قرارك، وتستفيد من الكفاءة. هل من الممكن أن

تلغي كل ارتباطاتك، وأن تأمر السكرتارية بعدم إيصال أي مكالمة لك، وتتفرغ لي، لمدة ساعتين؟

- الآن؟!

- الآن. الأمر لا يحتمل التأجيل.

- ولمدة ساعتين كاملتين؟

- سيادة الرئيس! هذا موضوع مصيري، هناك مؤامرة خطيرة جدا تدبر ضدك، وضد مصر.

- لن أسمح لأحد باستدراحي إلى معركة أعرف أنني غير مستعد لها.

- سيادة الرئيس! لا تغضب إذا قلت لك إنك لا تعرف نفسك كما يعرفك أعداؤك، وكما أعرفك

أنا.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أنك حين تجد نفسك مضطرا أمام الجماهير العربية التي تعشقك وتعشقها إلى اتخاذ

عمل فسوف تتخذه، كما فعلت يوم قبلت...¹⁷⁵.

واتضح من خلال هذا الحوار السياسي بين سلمى، مديرة للمخابرات العامة ورئيس الدولة،

دورها الكبير وصورتها السياسية، وهي امرأة ذات الخبرة والتجربة في المجال السياسي. وهي تطلع جمال

عبدالناصر على الأجواء التي سوف تكون مضطربة ومتوترة في المنطقة بسبب التهديدات والمعاركة التي

سوف تكون من جانب الدولة اليهودية ضده، وتقول له أنه يجب عليه أن يتخذ الإجراءات اللازمة ضد

الدولة اليهودية، ولكنه لا يهتم بقولها وتحذيراتها ويقول أنا غير مستعد لدخول مصر في حرب مع الكيان

¹⁷⁵ - غازي القصيبي، سلمى، ص 9.10.15.16.

الصهيوني مهما كانت الاستفزات ضده، ويوضح ذلك الحوار التالي بين سلمي وجمال عبد الناصر بشكل واضح:

"ولكنك سوف تتخذ إجراءات تعطي إسرائيل المبرر لشن هجوم شامل كاسح على مصر.

- سلمى! هل يمكن أن توضحني هذه الألغاز؟

- سوريا مهددة بعدوان وشيك والاتحاد السوفيتي هو الذي أبلغك.. ماذا ستفعل؟

- لن أدخل معركة مع إسرائيل مهما كانت الاستفزات.

- سوف تتخذ سيادتك إجراء يستفز إسرائيل أمام العالم كما أو كان يهدد أمنها، لا يهم نوع الإجراء، قد تطرد القوات الدولية، أو تمنع الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة. أو تعلن الطوارئ.. سوف يكون هناك ضغط جولي عنيف، تقوده أمريكا، يدعوك إلى عدم البدء في القتال، سوف يقول لك الجميع أنه من الممكن الوصول إلى حل دبلوماسي، ثم تبدأ الضربة الإسرائيلية، وينتهي الأمر.

- سيادة الرئيس! التاريخ لا يعيد نفسه، وقواتنا غير مستعدة، ولن يقف معنا أحد، وإسرائيل تتدرب منذ خمس سنوات على الضربة، سوف تفلح الطائرات الحربية الإسرائيلية كلها، كلها يا سيادة الرئيس، أكثر من 400 طائرة، وتحلق على ارتفاع منخفض بحيث لا تتمكن أجهزة الرادار من رصدها، ثم تهاجم الطائرات المصرية، وتدمرها، وتدمرها كلها يا سيادة الرئيس، مع اختفاء الطيران المصري، تصبح نتيجة المعركة محسومة، أقل من شهر، في تقديري.

- ما يهم الآن، هو تبادر إلى إنقاذ مصر من الهزيمة.

- وماذا تريد أن أفعل؟

- أعد القوات المصرية من اليمن، فوراً. أعد تشكيل القوات المسلحة من أولها إلى آخرها، هذه

قائمة بأسماء المسؤولين المدنيين والعسكريين الذين يجب أن تستغني عنهم، فوراً"¹⁷⁶.

فحاولت سلى، مديرة المخابرات المصرية بكل المحاولة في إطلاع جمال عبد الناصر على خطورة الأجواء والمؤامرة، وفي اتخاذ الإجراءات اللازمة والاحتياطات الضرورية لكي يستطيع بها جمال عبد الناصر التمكن من تخليص البلاد المصرية من الهزيمة والدمار، ولكنه لم يصغي إلى حديثها وظل باقياً على إصراره على أنه لن يدخل مصر في حرب مع الدولة اليهودية، ولم يتخذ إجراءات ممكنة ولم يرسم خططا أمنية حتى أصبح في نظر سلى المسئول المباشر عن هزيمة حزيران 1967، لأنها قد أطلعتة على خطيرة المؤامرة، وأكدته على اعداد الخطط اللازمة لمواجهة هذه التحديات.

وقد نجح القصيبي في تمثيل صورة السلى السياسية وبطولتها، فهذه البطلة "سلى" قد أخبرت جمال عبد الناصر عن المؤامرة وقدمت له الخطط العديدة لانقاذ البلاد العربية من الهزيمة، ولكنه لم يقبل ذلك، فتهب هذه البطلة العجوزة "سلى" من نومها وتسمع الراديو الذي يقول:

"... وقد جاءت الضربة القاصمة صباح يوم 5 يونيو 1967 عندما قامت الطائرات الإسرائيلية

بهجوم شامل مفاجئ... " تدهش وتقف الراديو بغضب. أي ضربة قاصمة؟! ألم تحذر الرئيس جمال عبد

الناصر من المؤامرة الشريرة؟! ألم تحذره بنفسها؟! ألم يصدقها؟! تتقلب العجوز، وتعود إلى النوم"¹⁷⁷.

¹⁷⁶ - غازي القصيبي ، سلى ، ص 18، 19، 20، 21.

¹⁷⁷ - المصدر السابق ، ص 22، 23.

ولقد كان القصيبي محاميا عن المرأة، وفتح لها باب التعليم في جميع المجالات، وحاول أن يظهر بتقديم دور المرأة السياسي قدرتها وتجربتها في الأعمال السياسية التي ما كانت بالمستوى المطلوب في العالم العربي، وهو يؤكد أن المرأة هي تلعب دورها الكبير البارز في المجال السياسي، وهي بعيدة النظر في الأمور السياسية، وفي كثير من الأحيان تكون لديها القدرة على تحمل المسؤولية أكثر من الرجال، وهي تستطيع أن تقدم الخطط والنصائح الذي يعجز عنها الكثير من الرجال. فسلى نموذج المرأة المثقفة الواعية للظروف المعيشية، ولكنها لا تجد من يقف معها ويساعدها في الوصول إلى طموحها ومستواها الذي لا يقل شأنًا عن مستوى الرجال.

"سونيا"

إن هذه المرأة "سونيا" التي مثلها غازي القصيبي في روايته "دنسكو" امرأة ذكية في مجريات الأمور والأحداث، وهي تمثل المرأة التي لديها التجربة والحكمة في الأمور السياسية والقدرة في التفكير ما يحصل من عاقبة الأمور والأحداث في المستقبل، وهي كبيرة مستشاري المدير التنفيذي لمنظمة اليونسكو.

هذه المرأة تحمل مسئولية إدارة الأمور والشؤون المتعلقة بالمنظمة العالمية لليونسكو وتلعب دورا مهما في هذا السبيل، وتختار طريقة خاصة لها للحصول على المعلومات والأخبار، وهي لا تريد أن تعزل عن تلك المنظمة العالمية لليونسكو، ويظل مكانها ومنصبها باقيا فيها الذي حصلت عليه، ولكن ذلك مرهون ببقاء المدير التنفيذي للمنظمة (روبرتو تشاينتي)، وإن يفشل صاحبها تفشل، فلذا هي تحاول لفوز صاحبها، المدير التنفيذي للمنظمة، محاولة حثيثة وجادة، وتقدم الخطط السياسية لفوزه، ويكشف الحوار التالي على صورتها:

"سونيا! متى تريد أن تفهمي أن مجلس الحكماء لن يمنح صديقك فترة ثلاثة؟ ألا تعرفين معنى

لن؟

- أعرف معنى لن، بدليل أني أعرف أن مجلس الحكماء لن يسمح بتدمير هذه الإدارة.

- ماذا تقصدين؟

- أي مرشح من المرشحين الستة سوف يقضي على مستقبل الإدارة قضاء مبرما.

- هذا رأيك أنت.

- هذا رأي الجميع. ولا ما هو رأي مجلس الحكماء.

- هل سينتخب المجلس ممثلا موسوسا لا يتحدث إلا بلسان شكسبير، أم شاعرا مخبولا يردد

أشعار شاعر مخبول آخر، أم سياسيا مجنوناً...

- قلت لك ألف مرة إن الإدارة في يد أمينة. سوف يتخذ مجلس الحكماء القرار الصائب¹⁷⁸.

ولم تتوقف سونيا عن وضع خططها لكي تبقى على مكانها ومنصبها في المنظمة، فتقدم العرض

أن يترشح من كل قارة شخص، وهذه الخطة لا يمكن نجاحها إلا بعد أن تكون تلك القارات راضية في

تقديم مرشح واحد عن كل منهما، وقد نجحت في خطتها ومن خلال ذلك يتم التصويت بين المرشحين

الست، وبذلك تنقسم الأصوات بينهم، وكما أن سونيا وعدت بأنها تعين جماعة من كل قارة في تلك

المنظمة إذا فاز صديقها روبير، وكانت تلتزم بوعدها، فذكر عنها، أنها:

¹⁷⁸ - غازي القصيبي، دنسكو، دار الساق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2000، ص 123، 122.

" وعدت سونيا بتعيين (4) مندوبين مؤقتين من قارة عربستان بتعيينهم في الإدارة إذا أوعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها"¹⁷⁹.

ويستمر في السرد عنها بقوله:

" وعدت سونيا بتعيين (3) مندوبين مؤقتين من القارة الجنوبية بتعيينهم في الإدارة إذا أوعيد انتخاب المدير التنفيذي الحالي، وأقسمت على ذلك بشرفها"¹⁸⁰.

ومن خلال الوعود والأعمال كانت سونيا تريد أن تحقق هدفها وغرضها، وبذلت قصارى جهدها في ألا يزعجها صديقها روبير عن منصبه ومكانه بل أن يكون باقيا عليه كما هو الآن كوزير لمنظمة اليونسكو، ولذا تحاول تقديم النصائح، وتذهب إلى الجميع وخاصة رئيس مجلس الحكماء، وبدأت تبيّن أمامهم الجهود المحمومة التي بذلها صديقها روبير والأعمال المجيدة التي قام بها في هذه المنظمة، والادوار الحاسمة التي لعبها في إعادة هذه المنظمة إلى الحياة مدة لا تقل عن عشرين سنين، فهذه الأعمال الجليلية والجهود المحمومة هو يستحق أن يعاد ترشيحه. وأخيراً فقد أصبحت سونيا بدورها السياسي الكبير مديرا تنفيذيا جديدا لدنسكو."

- ما هي أخبار الانتخاب؟

- سونيا! أنت تعرفين أنني لا أستطيع..

حسنا حيلنا ، ! لا تتكلم (استمع) إذا أراد مجلس الحكماء مصلحة الإدارة فليس هناك سوى

قرار واحد.

¹⁷⁹ - المصدر السابق ، ص127.

¹⁸⁰ - المصدر السابق ، ص126.

- أعطه ولاية ثالثة لصديقك؟

- صديق الجميع، صديق العالم، صديق القارات كلها، الرجل الذي ضحى براحته وبصحته في

سبيل.. ..

- سونيا! أعفني من المحاضرة، أنت تعرفين الجواب.

- عزيزي الحكيم! لا تتسرع، مع السرعة قد يجئ الندم.

- ماذا تقصدين؟

- أقصد أن صفقة العمولات التي عقدها زوج ابنتك قد تختفي بسرعة¹⁸¹.

وقد ألقى القصبي الضوء من خلال السرد الحوار على هذه المنظمة وأحوالها السياسية، وقد بين أن أغلبية المرشحين لها لم يكونوا أهلاً لهذا المنصب، وكشف عن سياسة هذه المرأة وقدرتها العقلية وبصيرتها التي تمكنت بها على إدارة هذه المنظمة، مدة من الزمن، وهي تمثل كبيرة مستشاري المدير التنفيذي.

فالمهام الموكولة إلى هذه المنظمة التي تسهم في النشاط الإنساني كبيرة وعلى الإداري الرئيس الإشراف على نشاطها الإنساني دون أن يتكل على غيره في إدارتها، وهذا ما حدث بالفعل من خلال شخصية سونيا، فيرى القصبي أنه لم يكن كاشفاً تلك المنظمة والألاعيب إلا من خلال ترشحه لها، وكذلك فإنه يصفها بالدنس، وأنه لم يدنس سمعته الإدارية والدبلوماسية فيها.

¹⁸¹ - غازي القصبي ، دنسكو ، ص132.

"سعاد"

هذه الفتاة "سعاد" من نماذج المرأة السياسية التي مثلها القصبي في روايته شقة الحرية. وهي فتاة حريصة على تحمل فكر الحزب البعث السياسي، فقد أرادت هذه الفتاة الشامية الذهاب إلى القاهرة للحصول على التعليم، والدراسات فيها، وبعد الوصول إليها كانت تريد أيضا أن تروج روح الحزب البعث السياسي، وحاولت أن ينضم إليه صديقها فؤاد الطارف وينشر أفكار الحزب بين الطلاب، وقد نجحت في هدفها من خلال هذه الصداقة مع فؤاد، وأصبح صديقها معتنقا هذا الفكر البعثي وأفكاره.

تمكنت هذه الفتاة من ترسيخ فكرة البعث، مما شجع فؤاد إلى ذلك فكرة الوحدة العربية بين الجمهورية السورية والمصرية، فقد كانت سعاد تمنح حزبا كل الولاء والانتماء، وقد أقنعت فؤاد من خلال حديثها عن مفهوم الوحدة العربية والحرية، وكلمات الحب والعذاب، تلك المشاعر التي كان يتأملها فؤاد من خلال حديثه مع هذه الفتاة:

- ما ضرورة الإنخراط في حزب؟

- يا فؤاد من غير حزب طليعي قائد لن تتمكن الأمة العربية من أداء رسالتها الخالدة ولا بد من حزب رائد يتغلغل في كل مكان من الوطن العربي، يعلم الجماهير وينظمها، ويحركها وفي الوقت المناسب يفرض الوحدة العربية، يصهر الكيانات النظرية في الدولة القومية الواحدة. كيف يمكن أن يتم هذا كله من غير حزب؟

- جمال عبد الناصر يحقق الآن هذا كله.

- جمال عبد الناصر زعيم سياسي عظيم، ولكنه زعيم بلا رؤية. .. من دون حزب، كالبعث العربي

الاشتراكي لن يستطيع أن يحقق شيئاً باقياً، عواطف الجماهير تدوم، ما يدوم هو التنظيم الحزبي¹⁸².

يتضح من هذا الحوار أن سعاد هي تسعى إلى أن تؤثر على شخصية صديقها فؤاد، وتحاول أن ترغبه إلى الانتماء إلى حزب البعث، وتظهر رغباتها وانتمائها السياسي، وعزمها على الوحدة العربية التي يطمح إليها فؤاد في محاولة انضمامه إلى الحزب. تقول:

- يا فؤاد! ألا تؤمن بالوحدة؟ ألا تؤمن بالحرية؟ ألا تؤمن بالاشتراكية؟

هذه هي مبادئ البعث، ما دمت مؤمناً بها فأنت بعثي، أدركت ذلك أو لم تدرك.

- يا سعاد أؤمن بالوحدة لأنها تعني قيام دولة عربية واحدة، وأؤمن بالحرية، لأنها تعني التخلص

من الاستعمار، ولكنني لا أفهم ما هي الاشتراكية، كيف أؤمن بشيء لا أفهمه؟¹⁸³.

قد حاولت سعاد في اقناع فؤاد من تحذيراتهما ولكنه لم يقتنع منها، وكما حذر قاسم، صديق

له، وهو، كالعادة، كان يقول بأن هذه الفتاه شيوعية، لا يغر هذا الكلام الفاضي عن الاشتراكية، ليس

هناك شيء اسمه اشتراكية. وهذه الدعاية المضللة. هذه الفتاة بعثية شيوعية، وهي تخدعك يا فؤاد!

وتريد أن ينضم المزيد من العناصر إلى حزبها، فعليه التفكير في هذا الأمر.

ولكن الفؤاد يصاحبها، وهذه المصاحبة تكون مستمرة بينهما، وذهب الفؤاد معها إلى أماكن

عديدة إلى سينما و جنينة الأسماك وغيرها، حتى أكل وشرب معها، وهو يسمع ما تقوله له عن ذلك

الحزب، وكان يدور الحديث بينهما في أمور كثيرة، من الحب والانسية، والرومانسية، والاشتراكية،

¹⁸² - غازي القصبي، شقة الحرية، ص 77.

¹⁸³ - المصدر السابق، ص 78.

والحرية وغيرها، وأمسك لأول مرة يدها وكانا يذهبان إلى القاهرة بالأوتوبيس، وكانت الأصابع مشتبكة، والحرارة تسافر من جسدها إلى جسده، وقبلها الفؤاد لأول مرة عندما كان جالسا معها أمام السكن الذي كانت تسكن فيه سعاد بالقرب من النيل، وشعرها الأشقر يرف على وجهه وعطرها يملأ رتتيه، فقالت:

- هل تحبني يا فؤاد؟

- نعم يا سعاد.

- قلها.

- أحبك يا سعاد!

- هل ستنضم إلى الحزب.

- نعم، يا سعاد!

وضاعا في القبلية الثانية.

قبل أن ينام أدرك فؤاد أنه، في سن الثامنة عشرة، قبل فتاة لأول مرة في حياته، وأنه قال لفتاة، لأول مرة في حياته، أنه يحبها، وأنه قرر في سن الثامنة عشرة، لأول مرة في حياته ينخرط في حزب سياسي، كل هذا في مساء واحد، يا له من مساء! يا له من مساء!¹⁸⁴.

ينكشف من هذه الحوارات الممتزجة بالعاطفة والمشاعر والسياسة أن الفتاة هي فتاة ذكية، صاحبة الفكرة السياسية، وهي تلتقي بـ فؤاد لتحقيق غرض وهدف وتحاول في هذا السبيل محاولة حثيثة وجادة، والهدف هو أن ينضم فؤاد إلى حزبها ويساعدها في نشر مبادئ ذلك الحزب وفكره، فلذا هي تقدم نفسها له لتحقيق هدفها، وتذهب معه، في كثير من الأحيان، إلى الخارج للتنزه والتفرج وللأكل.

ومن خلال السرد والحوار، قد نجح القصصي في تقديم صورة المرأة السياسية وأفكارها، وإثبات دور المرأة في المجتمع والمجال السياسي وفي كل الأمور، وهي ليست خارجة عن القدرة على تحمل المسؤولية وعاجزة عن فعل أي شيء، ولها علاقة لكثير من الأفكار الاجتماعية والسياسية والفكرية، وهي قادرة . بتجربتها وقدرتها . على إدارة الأمور الاجتماعية والسياسية، وسير مع الرجل في جميع الأعمال الحياتية، مهما كانت.

الفصل الثالث

المرأة والفكر

إن غازي القصيبي روائي كبير، واختار في رواياته موضوعات متعددة من النواحي المختلفة، ونالت رواياته شهرة واسعة في العالم العربية وخارجه، ولم يتوجه الكاتب في رواياته إلى تناول الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للواقع العربي بشكل عام والبلاد السعودية بشكل خاص، بل اهتم فيها بتناول الجوانب الفكرية أيضا، ودور المرأة التي تحمل تلك الأفكار المتنوعة والمتعددة، ومن ذلك يتضح مشاركتها في الحراك الاجتماعي، واسهاماتها في التطورات الجديدة على كل النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية.

"سعاد"

هذه المرأة "سعاد" كانت الطالبة الشامية التي وصلت إلى القاهرة للدراسة، ولها النزوع إلى أفكار الحزب البعثي، وهي تحاول نشر أفكاره محاولة جادة، ولهذا الغرض هي تدعو صديقه فؤاد الطارف وهو طالب بحريني شاب، وتريد أن تبذر في قلبه بذرة المحبة للوصول إلى هدفها، وكان صديقها فؤاد الطارف رجلا مدركا متفتحا، فيرى أن جمال عبد الناصر يفوق الحدود وهو القادر على الوحدة العربية، وهو يعد من بين أصدقائه الأكثر عقلانية وروية وهو متعدد التفكير في كل الأمور.

ومن خلال الحوارات المتتابعة قد ظهرت أهداف سعاد وأغراضها، وهي نشر الأفكار لحزب البعث بين الطلبة، ولإقناع هذا الشاب فؤاد الطارف في أفكارها وضمه إلى حزبها السياسي قد اختارت طريق

الحب والرومانسية، وقد نجحت في سبيلها، حتى وقع في حبها، وبدأ يتفكر أكثر من الآخر في تحقيق الوحدة السورية المصرية، وهذه الفتاة له أمنية بالرغم من أنها كانت تراوغة منذ فترة طويلة. في البداية ما كان الأمر سهلاً، ثم وقعت بينهما الفرقة، ولكنه لم يستطع أن يبقى وحيداً بدونها، وظن أنها أصبحت صديقة له، وظهرت المرأة وجمالها وشعرها الأشقر وشفيتها الحمراوين في ذهنه وتفكيره مرة بعد مرة. فلذا قرر فؤاد ألا يتركها وحيدة بل يصاحبها في كل الأمور ولا يخاف من المشاكل والمصائب التي يواجهها في هذا السبيل.

وفي اليوم التالي قد التقى بها وجرت بينهما المفاوضات السياسية والبحث في مستقبل الأمة العربية، إلى جانب الأمور الأخرى، وقد أخبرته سعاد، خلال المفاوضات، بأنها تنتمي إلى حزب سياسي وهو حزب البعث وهي ملتزمة له، وسألها:

- ما ضرورة الانخراط في حزب؟

- يا فؤاد! من غير حزب طليعي قائد لن تتمكن الأمة العربية من أداء رسالتها الخالدة. لا بد من حزب رائد يتغلغل في كل مكان من الوطن العربي كيف يمكن أن يتم هذا كله من غير الحزب؟... من دون حزب كالبعث العربي الاشتراكي لن يستطيع أن يحقق شيئاً باقياً. عواطف الجماهير لا تدوم، ما يدوم هو التنظيم الحزبي¹⁸⁵.

إن هذا الطالب فؤاد الذي كان مولعاً بالحب والمرأة في بداية الأمر وكان يريد أن ينغمس في عالم النساء والنشوة، كما كان يتخيل ذلك مع صديقة، ويسمع كلام الحب والأفراح الذي كان يتحدث عنه معها بعد منتصف الليل، ولكنه بعد أن رأى سعاد وأفكارها اتجاه الحزب، قد تغيرت أفكاره اتجاه المرأة

¹⁸⁵ - غازي القصبي، شقة الحرية، ص 77.

والاجتماع. وهو يرى أنه سوف يتفكر في هذه الفتاة الجميلة وفكرها الحزبي. فهذه الفتاة سلبت قلبه، ولم تنجح في إقناع فؤاد إلى الحزب فقط بل إلى جانبها. ولكن الفؤاد لم يكن ناضجا في المجالات السياسية، ولا يعلم حزب البعث العربي السوري، وأهدافه ونشاطاته، فهذه الصداقة مع سعاد تمكن فؤاد من إطلاع على هذا الحزب والأمور الأخرى منه، وقرر أنه يصاحب هذه الفتاة في كل الأمور المتعلقة بحزبها السياسي "حزب البعث"، لأنه هو يجد فيها فكرا جديدا، وعالما آخر من الحب والسعادة. وعندما رأت سعاد نزوعه إليهما، استخدمت كل أنواع أساليب المنطق والحكمة لجذبه إلى حزبه السياسي "حزب البعث". كما تقول له:

- يا فؤاد ألا تؤمن بالوحدة؟ ألا تؤمن بالحرية؟ ألا تؤمن بالاشتراكية؟

هذه هي مبادئ البعث وما دمت مؤمنا بها فأنت بعثي، أدركت ذلك أو لم تدرك.

- يا سعاد! أؤمن بالوحدة لأنها تعني قيام دولة عربية واحدة، وأؤمن بالحرية لأنها تعني التخلص

من الاستعمار. ولكني لا أفهم ما هي الاشتراكية، كيف أؤمن بشئ لا أفهمه؟¹⁸⁶.

قد علمت هذه الفتاة الجميلة من خلال هذا الحوار بينهما أن هذا الطالب البسيط غير ناضج

في المجال السياسي ولا يعلم شيئا عن ذلك الحزب، فقررت أنها ستبحث معه عن تفاصيل صراع

فكري، وتحاول في إقناعه إلى حزبه وأفكاره، وهي تقول:

إحذر! إحذر! يا فؤاد أن تترك جذورك الطبقية تتسلل إلى تفكيرك.

المثقفون الشرفاء يستطيعون تجاوز الطبقة، والانتماء الطبقي¹⁸⁷.

¹⁸⁶ - غازي القصيبي ، شقة الحرية ، ص78.

عندما سمع فؤاد هذا الكلام تغير تفكيره وبدأ يتفكر في هذا الأمر، حتى ذهب إلى أصدقائه للمشاورة في هذا الأمر، وقال زميل له قاسم:

"حذرتك يا فؤاد وانذرتك. وحذرتك من هذا الميذنة. قلت لك انها شيوعية. لا يغرك هذا الكلام الفاضي عن الاشتراكية. لا يوجد شيء اسمه اشتراكية. هذه دعاية لتضليل المغفلين"¹⁸⁸. ولكن فؤاد الذي قد وقع في حبه ومال إلى حزبها لم يصغي إلى حديثه، وقرر أنه لا يتركها وحزبها بل ينخرط معها فيه. ويدل هذا السرد التالي على نزوعه إليها وإلى حزبها:

- أحبك يا سعاد!

- هل ستنظم إلى الحزب؟

- نعم يا سعاد!¹⁸⁹.

نظرا إلى هذه الاعترافات شعرت سعاد بأن هذا الطالب فؤاد سيكون معها في نشر أفكار الحزب، ومواجهة المشاكل والمصائب في ذلك السبيل، ويكون مصدرا لجذب كثير من أصدقائه في الجامعة والسكن إلى هذا الحزب، لاسيما الشباب العربي الذي رأى بعيونه تلك الظروف القاهرة التي مرت بالأمة العربية، وكان مستعدا للدفاع عن الأمة العربية بكل قوته وفكره.

وكانت هناك الأحداث متواصلة بين سوريا ومصر، حتى تم الاتفاق بينهما، وقامت الوحدة العربية، وأصبح جمال عبدالناصر رئيسا للدولة الجديدة، وحل الحزب البعثي في سوريا، فتحير فؤاد

¹⁸⁷ - المصدر السابق ، ص78.

¹⁸⁸ - غازي القصيبي ، شقة الحرية ، ص80.

¹⁸⁹ - المصدر السابق ، ص81.

نظرا إلى هذه الأمور التي حدثت بسرعة، وقد أدرك أن كل شيء انتهى، وانتهت اللقاءات الحزبية المعهودة، فذهب إلى صديقه سائلا:

- لقد حل الحزب نفسه فلماذا نواصل اجتماعاتنا هنا؟

- قرار الحل يقتصر على سوريا، ولكننا لسنا في سوريا، نحن هنا لا نمارس نشاطا حزبيا داخلي، نحن نعمل لصالح الأمة العربية كلها وتوقفنا خيانة لهذه الأمة.

- ولكن كيف يستمر نشاطها هنا إذا كان النشاط الرئيسي في دمشق توقف؟

- حل الحزب لا يعني توقف النشاط، تحول الحزب الآن عنصرا أساسيا في الحكومة. وسوف يستمر في العمل من موقع الشريك.

- .. في كلامك الكثير من التفاؤل.

- .. سوف يكون حزبا الحاكم الحقيقي¹⁹⁰.

إن هذه الفتاة "سعاد" قد قامت بنشر أفكار الحزب السياسي، وهي تمثل المرأة صاحبة الفكر الحزبي والقيادي السياسي، وقررت بعد أن نشرت أفكار الحزب وأهدافه أن يكون هذا الحزب قائما بذاته، ولكنها بعد انحلال الحزب، لم تتوقف عن العمل بل كانت مستعدة للعمل لصالح الأمة العربية ولكل شيء، كما نجحت في جذب فؤاد إلى حزبا السياسي، واعتناق فكرته ونشره.

¹⁹⁰ - غازي القصبي ، شقة الحرية ، ص90.

قد حاول القصيبي، كما يبدو، تقديم مثل هذه القضايا والأفكار في رواياته لإظهار رؤيته للواقع الاجتماعي، ولتكشف عن نضوج الوعي الفكري الحقيقي لدى المرأة العربية في ذلك الوقت، وصلاحيتها أمام الرجل في مجالات الحياة الاجتماعية المتنوعة، وقدرتها على تحمل المسؤولية في كل الأمور الحياتية.

" سلمى "

جاءت هذه المرأة صاحبة الفكر في رواية القصيبي "سلمى". ولها دور كبير في رسم حياة جديدة للمجتمع أو العمل وفق فكر سليم. وحاول القصيبي أن يكشف عن فكرها وقدرتها ودورها عبر مدياع تتغير صناعته كل مرة من خلال استماع تلك العجوز إلى قصص التاريخ، ذلك التاريخ الذي تمثله تلك العجوز سلمى وهو حلمها وأملها، وأراد القصيبي من خلال هذه الصورة أن يبين أن ما وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة، وهي حقا عظيمة في عملها وفكرها الواسع وقدرتها الكبيرة من خلال مجريات الأحداث التي مثلتها في تلك الرواية.

إن هذه المرأة سلمى التي نراها في هذه الرواية، ودورها في الحياة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية والعاطفية والثقافية وغيرها من مجالات، تشير من خلال طروحاتها إلى أن المرأة ما خلقت سدى بل لديها القدرة على تحمل المسؤولية في مجالات الحياة المختلفة، وهي صاحبة الفكر وكما أن المرأة في كثير من الأحيان تعد وسيلة للنجاح والفوز للرجال، وربما تكون سببا في الهزيمة والخسارة بعدم الاعتناء برأيها في المواقف الكثيرة.

إن هذه المرأة، في الموقف الأول في هذه الرواية، قد جاءت في صورة مدير المخابرات في مصر، وهي ذكية في المجال السياسي، وهي صاحبة فكر شجاع، وهذه المرأة تقدم النصائح وهي تعرف موازنة الأمور، وتخبر عن الأحداث وفق فكرها الناضج وعقليتها المدركة بمجريات الأحداث، ولكنها لا تجد سيادة

الرئيس يسمع لها ويصغي إلى حديثها ويعتني بها فهذا السبب تأتي الهزيمة والخسارة، كما يدل على هذا السرد التالي:"

- تهز سلمي رأسها بعنف، وتقول:

- أتحدث عن خطر داهم، عن تواطؤ دولي محكم ضد ك.

- عدوان ثلاثي جديد؟!!

- أخطر، يا رئيس، أخطر بكثير.

- أخطر من العدوان الثلاثي؟!!

... هذه المرة، أطراف المؤامرة، أمريكا والاتحاد السوفيتي وإسرائيل، بالإضافة إلى دول عربية،

بالإضافة إلى عناصر في الداخل.

- يا ساتر! يا ساتر يا رب! الاتحاد السوفيتي يتأمر مع أمريكا ضد مصر؟ الاتحاد السوفيتي صديق

وحليف، سلمي: هل بدأت في... في ...

- معلوماتي مؤكدة مئة في المئة¹⁹¹.

هذه المرأة سلمي قدمت إلى جمال عبد الناصر المعلومات الخطيرة الهامة، وأخبرته عن المؤامرة

والدسيسة التي يدبرها أعداءه ضده والبلاد المصرية والعربية، محاولة أن تنقذ الرئيس جمال عبد

الناصر من الشبكة التي لا يمكن له أن ينسحب منها بعد أن يقع فيها:"

¹⁹¹ - غازي القصيبي ، سلمى ، ص 11، 12.

- سلمى! هل بدأت تقرئين / الفنجان؟ ما هذا الكلام؟

- سيادة الرئيس: أرجوك: اقسم لك أن معلوماتي دقيقة جدا، ومصادري لا يتطرق إليها الشك،

ألا تثق في .. ؟

- ثقتي فيك مطلقة، ولكن..

- إذن، أرجو أن تصدقني. قبل أن تسرب المعلومة سوف تكون هناك معارك جوية تسقط فيها

المقاتلات الإسرائيلية عددا من الطائرات السورية. وسوف هناك تهديدات إسرائيلية باحتلال دمشق.

عندما تصلك المعلومة سوف تكون مهياً نفسياً لدخول المصيدة.

- المصيدة؟ سلمى! هل بدأت تفقدين صوابك؟

- قلت لك، يا سيادة الرئيس، إن المؤامرة خطيرة جدا، ومصدر خطورتها أنها لن تأخذ شكل

مؤامرة، سوف تسير الأمور سيراً طبيعياً ويقود فعل إلى رد فعل، حتى تقع الواقعة¹⁹².

وهكذا، بعد أن استعرضت سلمى الأحوال والمواقف، قدمت أفكارها وتوقعاتها، وأخبرت جمال

عبد الناصر عن التهديدات والمؤامرات الكبرى من جانب أعداءه، والأجواء التي سوف تكون متوترة جدا

في المنطقة على إثر تلك الهجمات. ولا يكون له السهل الدفاع عن نفسه والبلاد المصرية والعربية.

ولكن لم يصغي جمال عبد الناصر إلى حديثها ولم يخضع لرأيها وفكرها، ولم يتخذ أي إجراءات

لازمة للدفاع عن نفسه والبلاد المصرية والعربية. كما يقول جمال عبد الناصر في نهاية الحوار لسلمى: "

¹⁹² المصدر السابق ، ص 13، 14.

- أشكرك! تأكدي أنني سوف آخذ معلوماتك بمنتهى الجدية. أما عن الثورة الجديدة فأرجو أن

تنسبها وتمزقي القائمة.

- سلى! كوني مطمئنة! لا تقلقي!¹⁹³.

فتنظر سلى إليه وهي حزينة بعد أن سمعت كلامه، وتقول:

" سيادة الرئيس! قمت بواجبي، والباقي عليك. كان الله في عون مصر، وفي عونك"¹⁹⁴. ولم يقف

دور سلى الفكري هنا فقط في هذه الحنكة، بل جاءت تحمل فكرا آخر وفي موقف آخر في التاريخ

العربية في بلاد الأندلس، وأخر أيام العرب في تلك البلاد.

شخصية المثقفة "هي"

نجد هذه الصورة للمرأة المثقفة "هي" في رواية القصبي "هما". وهي صاحبة الفكر، وقادرة على

القيام بالكثير من الأمور الحياتية، حيث تشتمل هذه الرواية على الحوار الطويل بين شخصيتين، وهي

شخصية المرأة المثقفة "هي" ونظيرها الرجل المثقف "هو". ويتضح من خلال الحوار الطويل أن المرأة

لديها القدرة الواعية والمفكرة التي تستطيع بها أن تقوم بالكثير من الأمور في مجالات الحياة المختلفة،

وقد تضمن هذا الحوار ردود فعل من كلا الجانبين في تأييد رأيه وقضيته، وهما يستمدان من امثلة

التاريخ القديم والحديث، مع استخدام التأويلات للمفكرين والكتاب الذين يؤيدون المرأة وقضيتها، أو

أراء تدافع عن الرجل وكلامه وموقفه من المرأة.

¹⁹³ - المصدر السابق ، ص22.

¹⁹⁴ - المصدر السابق ، ص22.

وفي هذه الرواية تقدم المرأة، من خلال الحوار بينهما، قضايا مهمة متعلقة بحياتها بحسب موقعها الثقافي، ووعيمها الفكري، ولديها القدرة والصلاحية على مواكبة الرجل في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية وغيرها من الأعمال الأخرى من الحياة أيضا، وهي لا تكون دائما مشغولة بأعمال البيت بل تعلم الأمور الكثيرة الأخرى من الحياة، وهي تستطيع إرسال الرسالة في الحياة في فهم مجريات أحوال الحياة وتطورها من خلال وعيمها الفكري وعقلها الناضج:"

- هي: إذا تشابهت الدموع على الخدود كيف يمكننا أن نفرق بين الباكي والمتباكي؟

- هو: أه، سؤال جميل: عندما تتشابه الدموع يصبح الحكم على الملامح، تستطيعين أن تسكبي

دموعا كاذبة، ولكن يصعب عليك أن تجعلي لونك يشحب وشفاتك تمتقن وجبينك..

- هي: هل نسيت أنني ممثلة.

- هو: لم أنس، كيف أنسى؟ حتى أقدر الممثلات يصعب عليها تصوير مشهد الوداع"¹⁹⁵.

تستطيع المرأة كما يجسدها الحوار، أن تدخل في معركة الحياة في المجالات كلها، السياسة والعلوم والفنون وما عدا ذلك الكثير من المجالات المختلفة، وفي هذه الرواية فإن المرأة قد شاركت في الحركة الثقافية الفنية من خلال شخصيتها كممثلة، فهي صاحبة رسالة واضحة وفكر واسع حول ذلك، وهي تستطيع الدفاع عن نفسها، كما تقدم الكثير من الأدلة على إثبات إدعائها، لأنها تمتلك القدرة على ذلك على الرغم من القول عن المرأة فإن ليس لها سهل ولا حاجة لها أن تشارك في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية وغيرها. وبالإضافة إلى ذلك تجيء هذه المرأة بالأمثلة العديدة للمفكرين

والكتاب الذين يدافعون عن المرأة ويؤيدون رأيها وفكرها، ويعترفون بأن المرأة تلعب دورا كبيرا في تغيير الحالة والوضع في الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها من المجالات الأخرى.

واتضح من الحوارات المتواصلة التي تجري بين الرجل والمرأة في هذه الرواية، أن هناك توجد كراهية واضحة للمرأة بحيث أنها تنافسه في مجالات الحياة المختلفة، وتدعي بأنها تستطيع محاكاة الرجال في الأعمال الحياتية، لأنه يظن نفسه مستحقا لذلك فقط، وأنها ليست بقادرة على دخول العالم الفكري للرجل أو الاقتراب منه:"

- هو: حذار! حذار!

- هي: من ماذا؟

- هو: من هذه اللعبة الخطرة.

- هي: أي لعبة خطيرة؟

- هو: منافسة المرأة الرجل في ميدانه.

- هي: ماذا تقصد بميدانه؟

- هو: أقصد عقرداره، عقرموهبته"196.

إن المرأة لديها الفكر الواسع و الواعي القدير، وتستطيع أن تخوض في المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها من المجالات الأخرى، لأنها طفقت تتباحث مع الرجل الذي يظن أن الفكر

واللياقة والمقدرة له فقط، ولا للمرأة، ولكنها هي تصر على أنها قادرة على تحاور الرجل والدخول في مجالات الحياة السياسية والفكرية أيضا، وتحمل المسؤولية في كل الأمور كمثل الذين يفهمون أو يظنون أن المرأة بعيدة عن هذه المجالات:

- هي: لم ألاحظ منك أي اهتمام بالسياسة.

- هو: أنت تلاحظين كل شيء.

- هي: هل اهتمت بالسياسة قط؟

- هو: اهتمت بالسياسة كثيرا¹⁹⁷.

فالمرأة تستطيع أن تشارك مع الرجل في كل أعماله وأفعاله، لأنها صاحبة الفكر، واسعة الثقافة، كثيرة الإطلاع، وهي تحاوره في جميع القضايا سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو قضايا أخرى، وهي ليست لإدارة الشؤون المنزلية ورعاية الأطفال فقط، بل هي ركيزة مهمة في المجتمعات الإنسانية، وهي تستطيع بعقلها وفكرها أن تكون شريكة متضامنة مع الرجل في الحياة الاجتماعية والأعمال الأخرى في المجتمع، وكان القصبي من أوائل الذين دعوا إلى مساواة المرأة في كل هذه الأمور للحياة.

من هنا قد عالج الكاتب ظهور المرأة فكريا في مواقع مختلفة من رواياته المتعددة، فكانت تمثل المرأة المثقفة واسعة المعرفة والإطلاع، التي تتحمل مهمة الدفاع عن بنات جنسها في كثير من المواقف الاجتماعية، وهي كذلك المذيعة الكبيرة التي تحاكي قدرة الرجل في أكثر المهام الإعلامية، كما أنها الصحفية المتميزة بعملها.

خاتمة البحث

وفي ختام هذا البحث، يمكنني الاستنتاج بأن الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية قد تأخرت من حيث الزمن عن الحركة الأدبية المعاصرة في البلاد العربية الأخرى بمصر وبلاد الشام وغيرها. وأن التجربة الروائية فيها خلال القرن العشرين قطعت أشواطاً مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني وتنوع الاتجاهات والموضوعات والمشاركة الفعالة في معالجة القضايا الاجتماعية على نطاق واسع بصدق التعبير والواقعية الفنية، ونالت إقبالا واسعا لدى النقاد والباحثين والدارسين داخل البلاد وخارجها. وقد مرت الرواية السعودية للوصول إلى ما هي عليه الآن بثلاث مراحل: النشأة والتأسيس، والنضج الفني، والتجديد والتحديث.

ففي المرحلة الأولى قد ظهرت رواية "التوأمان" للأستاذ عبد القدوس الأنصاري في سنة 1930م، كبداية التجربة الروائية السعودية. ولكن كانت هذه المرحلة أقل إنتاجاً روائياً، وغير ناضجة فنياً، وكما غلبت على معظم الأعمال النزعة التعليمية الإصلاحية الأخلاقية الاجتماعية.

وتعتبر رواية "ثمن التضحية" للأستاذ حامد دمنهوري في عام 1959م بداية المرحلة الثانية ومرحلة النضج الفني، وقد امتازت هذه المرحلة الثانية لمسيرة الرواية السعودية التي ظلت عشرين عاماً، وازدادت فيها الانتاجات الروائية مقارنة بالمرحلة الأولى. وحققت الرواية في هذه الحقبة تطوراً فنياً ملحوظاً عن ذي قبل، وعلى الخصوص في أعمال حامد دمنهوري وإبراهيم الناصر وفؤاد عنقاوي. وصدرت في هذه المرحلة الثانية الغنية روايات في اتجاهات سياسية واجتماعية وتاريخية وعاطفية مع روايات المغامرات والتسلية. وكذلك شاركت فيها المرأة في الكتابة الروائية مثل سميرة بنت الجزيرة وغيرها من الكاتبات.

وفي المرحلة الثالثة قد شهدت الروايات السعودية تطورا ملحوظا من الناحية الفنية، حيث مال عدد من الكتاب إلى آفاق التجديد والتجريب، وكتبوا كثيرا من الروايات، وأصبحت الأعمال الروائية لهذه المرحلة أكثر من المرحتين السابقتين الممتدتين إلى خمسين عاما. منهم: عبدالله الجعفري وعصام خوقير وعبدالكريم محمد الخطيب وظاهر عوض وغيرهم. وكذلك الكاتبات في هذه الحقبة قد أسهمن أيضا بقدر وافر في تطور الرواية السعودية و لعبن دورا حاسما في رفع قيمة الرواية الموضوعاتية والجمالياتية، وعالجن الكثير من القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمرأة السعودية. ومن أبرز الأسماء التي نالت سمعة في مجال فن الرواية، رجاء عالم وصفية عنبر وأمل محمد شطا وغيرهن من الكاتبات الأخرى. وأزدهرت الرواية النسائية في المملكة العربية السعودية ونالت إقبالا كبيرا من الأدباء والنقاد.

وكذلك من الروائيين في هذه مرحلة التجديد والتحديث غازي عبدالرحمن القصيبي الذي قدم المرأة وفق عدة صور متعددة ومتنوعة، في رواياته المختلفة، حيث يلحظ الدارس قضايا المرأة بكل شفافية، وإن وجدت ذات جانب سلبي أحيانا، حيث نقل لنا الكاتب تلك الصورة في مجتمع له خصوصياته، وعاداته وتقاليده، وليس من السهل تقبل هذا الطرح المكشوف. وعلى الرغم من أن القصيبي بدأ كتابة الروايات متأخرا ولكنه استطاع أن يضيف إلى مسار الرواية العربية، وخاصة السعودية منها، مجموعة من الروايات التي تعالج الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية والتاريخية والثقافية في البلاد.

وتناول القصيبي في العديد من رواياته . كما تبين من خلال دراستها . صورة المرأة المتنوعة، مثل المرأة الأم، والزوجة، والحببية، والمتقفة، والمتعلمة، والأمية، والبغي، والمناضلة، والمرأة السياسية وغيرها، وكذلك عالج القصيبي ظهور المرأة فكريا في مواقع مختلفة من رواياته المتعددة أيضا، حيث كانت صور تلك المرأة انعكاسا للواقع المعيش في السعودية، وقد حاول القصيبي فيها إيضاح مكانة المرأة

الاجتماعية والسياسية، وبيان قدراتها في مسايرة الرجل في الكثير من الأعمال الحياتية، سواء كانت المرأة العربية بشكل عام أو السعودية بشكل خاص.

كما ظهرت من خلال الرواية القدرة الإبداعية لدى الكاتب من حيث دقة التصوير، وتناول موضوعات مهمة ذات حساسية واضحة في المجتمع، فكانت هذه الروايات تمس الواقع بشئ من التفصيل، وتعبر عن طموحات وآمال عديدة لدى الكاتب وغيره، في إظهار دور المرأة في هذه البلاد التي للمرأة فيها واقع خاص من الجانبين الثقافي والاجتماعي.

وكان لطبيعة الأحوال الاجتماعية والسياسية والثقافية في الدولة السعودية، دورا ملموسا في ظهور صور المرأة من خلال هذه الروايات بشكل ملفت النظر. وكشفت الدراسة من خلال هذه الروايات، صور الواقع في بلاد السعودية التي تعطي للرجل كل شئ، بدون أية إدانات، ولكنه يمنع المرأة من عمل الكثير من الأمور بداعي العادات والتقاليد، حيث ظهر أن موقف الرجل يكاد يكون سلبيا في الكثير من الروايات.

ويعد الكاتب غازي القصيبي صاحب رؤية اجتماعية وسياسية وفكرية، وقد عكست رواياته تلك الرؤية المتعددة من خلال الأساليب الفنية، والنصوص التي تحمل الكثير من القضايا التي تمس الواقع وتكشف المستور في البلاد.

ففي هذا البحث ذكرت كذلك الأوضاع السياسية والثقافية والأدبية في بداية القرن العشرين في المملكة العربية السعودية، وألقيت الضوء على مراحل الحكم السعودي المختلفة الذي إزدهر وتطور واتسع حتى جاء في صورة المملكة العربية السعودية الحالية التي تقودها الأسرة السعودية حاليا.

والجدير بالذكر هنا بأنني قدمت بحثا وافيا في مقدم البحث ناقشت فيه حياة الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، ونشأته الطفولية وبيئته التي نشأ فيها واستقى من معينها حتى أصبح أدبيا فحلا وشاعرا كبيرا ووزيرا ماهرا، وسفره لحصول العلم والمناصب العليا التي فوضت إليه في حياته.

ولو أنني حاولت في هذا البحث أن يكون خاليا من الخطأ والنقص إلا أنه من طبيعة الإنسان لا مفر منه. وأخيرا أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجه الكريم ويقبل منا إنه مجيب الدعاء، وإنه الموفق والمستعان وله الحمد في البداية والنهاية والصلوة والسلام على رسوله الأمين.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1. القرآن الكريم
2. الدكتور محمد بن عبد الله السلطان، التعليم في عهد الملك عبد العزيز، طبع بمطابع الناشر العربي، الرياض، عام 1999م.
3. ندى بنت صالح بن علي أبا الخيل، حسن بن عبد الله آل الشيخ (1307-1352هـ): حياته ونشره، الإدارة العامة للثقافة والنشر، عام 2004م.
4. محمد بن سالم بن سعيد الصفراني، شعر غازي القصيبي: دراسة فنية، الجامعة الأردنية، عام 1995م.
5. نزيه أبو نضال، التحولات في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، عام 2006م.
6. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، عام 1935م.
7. الدكتورة مديحة أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، عام 1980م.
8. صلاح الدين مختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، جزءان، دار مكتبة الحيات، بيروت، عام 1904م.

9. الدكتور بكري شيخ أمين، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام 1986م.
10. الدكتور عبد الفتاح حسن أبوعلية، تاريخ الدولة السعودية الثانية، دار المريخ للنشر، الرياض، الطبعة الرابعة، عام 1891م.
11. فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة الثقافة الدينية، شارع بورسعيد/ الطاهر، سنة الطبع غير مذكورة.
12. حفظ الرحمن الإصلاحي، النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2011م.
13. الدكتور محمد عبدالرحمن الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، عام 1983م.
14. الدكتور محمد عبدالرحمن الشامخ، نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، عام 1981م.
15. الدكتور محمد عبدالرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة...آخر العهد العثماني، دار العلوم الرياض، الطبعة الثانية، عام 1982م.
16. بصيرة إبراهيم الداود، تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، دارالملك عبد العزيز، الرياض، عام 1429هـ.
17. عبد الحميد بن عبد المجيد بن عبد الحميد حكيم، نظام التعليم وسياسته، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 2012م.

18. أحمد بن محمد العيسى، إصلاح التعليم في السعوديتين غياب الرؤية السياسية وتوجه الثقافة الدينية وعجز الإدارة التربوية، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2009م.
19. منصور إبراهيم الحازمي، فن القصة في الأدب العربي السعودي الحديث، دار ابن سينا للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة، عام 2001م.
20. الدكتور محمد صالح الشنطي، فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى، عام 1990م.
21. الدكتور محمد بن عبدالله العوين، كتابات نسائية متمردة: رؤية تاريخية ونقدية لكتابة المرأة السعودية، شركة إعلام النخبة، الطبعة الأولى، عام 2009م.
22. سعد بن محارب المحارب، الرواية الجماهيرية: قراءة نقدية في مرحلة ذبوع الرواية السعودية، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2011م.
23. الدكتور مكي محمد سرحان، د. غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، عام 1998م.
24. تركي الدخيل، قال لي القصيبي، دار مدارك للنشر، دبي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام 2012م.
25. كمال عبد القادر، حكاية اسمها غازي القصيبي، دار مدارك للنشر، دبي، بيروت، الطبعة الثانية، عام 2011م.
26. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، حياة في الإدارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة الطبع غير مذكورة.
27. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، سيرة شعرية، تهامة للنشر والمكتبات، جدة، الطبعة الثالثة، سنة 1424هـ.

28. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، شقة الحرية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لندن، الطبعة الخامسة، عام 1999م.
29. غازي عبد الرحمن القصيبي، التنمية الأسئلة الكبرى، (بحث) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، عام 1992م.
30. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، هما ، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1996م.
31. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، رجل جاء .. وذهب، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2002م.
32. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، حكاية حب، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، عام 2011م.
33. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، رواية 7، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 1998م.
34. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، الجنية، دار فارس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، عام 2004م.
35. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، سعادة السفير، دار فارس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، عام 2003م.
36. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، سلعى، دار فارس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، عام 2002م.

37. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، الزهايمر، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2010م.
38. الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي، دنسكو، دار الساقى، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام 2000م.

الجرائد والصحف:

39. مجلة "الجوبة"، المملكة العربية السعودية، العدد 29، عام 2010م.
40. مجلة "الجوبة"، المملكة العربية السعودية، العدد 35، عام 2012م.
41. مجلة "الجوبة"، المملكة العربية السعودية، العدد: 32، عام 2011م.
42. مجلة "الجوبة"، المملكة العربية السعودية، العدد: 34، عام 2012م.
43. المدينة، صحيفة يومية الصادرة عن مؤسسة المدينة للصحافة والنشر. يوم الأربعاء، الحادي عشر من شهر اغسطس عام 2010م.
44. الشرق الأوسط، صحيفة يومية الصادرة عن لندن باللغة العربية، يوم الأربعاء، الثامن عشر من شهر اغسطس عام 2010م.
45. الجزيرة، جريدة سعودية يومية الصادرة عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر. الرياض، يوم الخميس، الخامس وعشرين من شهر اغسطس عام 2011م.
46. شباب مصر. جريدة يومية تصدر عن حزب شباب مصر. يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر يوليو، عام 2015م.

الانترنت:

47. [ويكيبيديا العربية . الموسوعة الحرّة : السعودية: https://ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/الموسوعة_الحرّة_السعودية)

محتويات البحث

1	المقدمة
7	الباب الأول: الأحوال السياسية والأدبية والثقافية في المملكة العربية السعودية
8	الفصل الأول: الحالة السياسية في بداية القرن العشرين
8	أدوار الحكم السعودي المختلفة
9	الدولة السعودية الأولى
12	سقوط الدولة السعودية الأولى
13	الدولة السعودية الثانية
14	تركي بي عبدالله
15	الحرب الأهلية وسقوط الدولة
16	المرحلة الثالث: عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وبناء الدولة الجديدة
22	الفصل الثاني: الحالة الأدبية والثقافية في بداية القرن العشرين
23	الصحافة قبل توحيد البلاد
23	المقالة الصحفية

25	الصحافة بعد توحيد البلاد
29	التعليم
36	الفصل الثالث: تطور الرواية العربية السعودية في القرن العشرين
38	مرحلة النشأة والتأسيس
41	مرحلة النضج الفني
44	مرحلة التجديد والتحديث
51	الباب الثاني: غازي عبد الرحمن القصيبي في ضوء أعماله
52	الفصل الأول: مولد غازي القصيبي ونشأته وحياته التعليمية
52	اسمه
52	مولده ونشأته
54	طلبه للعم
61	الفصل الثاني: حياته العملية
71	الفصل الثالث: محاولاته الأدبية
74	غازي عبد الرحمن القصيبي شاعرا

81	غازي عبد الرحمن القصيبي روائيا
89	الباب الثالث: تحليل صورة المرأة في روايات غازي عبدالرحمن القصيبي
90	الفصل الأول: المرأة وحضورها الاجتماعي
91	المرأة الحبيبة
96	المرأة المناضلة
99	المرأة الأمية
100	المرأة البغي
105	المرأة الأم
107	المرأة المثقفة
109	المرأة الزوجة
112	الفصل الثاني: المرأة والسياسة
113	سلي
118	سونيا
122	سعاد

126

الفصل الثالث: المرأة والفكر

126

سعاد

131

سلي

134

شخصية المثقفة "هي"

138

خاتمة البحث

142

قائمة المصادر والمراجع

148

محتويات البحث

A Study of the Images of woman in the novels of Ghazi Abdur Rahman Al Qusaibi

**Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University in partial
fulfillment of the requirements for the award of the degree of**

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

TARIQUE IMRAN

UNDER THE SUPERVISION OF

PROF. F.U. FAROOQI



Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

2015